دعوة الحق
كتاب شهري يصدر عن
رابطة العالم الإسلامي

تسخير العلم والعمل لمجد الإسلام

بقلم :
د. حسن محمد باجودة
أستاذ الدراسات القرآنية البيانية
بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

السنة الثالثة عشرة
صفر ١٤١٤ هـ ـ العدد ١٣٤



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فهذا العمل وعنوانه : «تسخير العلم والعمل لمجد الإسلام» عماده دراستان اثنتان عملتا من أجل الندوة العالمية للقرآن الكريم المنعقدة في كوالالمبور عاصمة ماليزيا، استجابة لدعوةٍ كريمةٍ من حكومة ماليزيا، توّجت بالموافقة الكريمة من المقام السامي. فبالإضافة إلى دعوتي للاشتراك حكماً في المسابقتين الدوليتين لتلاوة القرآن الكريم لعامي ١٩٩٢ و١٩٩٣م فقد تقرّر بشأن الندوة العالمية المنعقدة في ٢٣، ٢٤ شعبان عام ١٤١٢هـ الموافق ٢٦، ٢٧ فبراير ١٩٩٢م توجيه الدعوة إلى ثلاثة من الأساتذة من ثلاث دولٍ صديقةٍ هي أندونيسيا ومصر والمملكة العربية السعودية لكتابة البحوث وتقديمها في الندوة المذكورة. وكان العنوان الذي اقترح عليّ لكتابة البحث فيه وإلقائه في الندوة ممثلاً للمملكة العربية السعودية هو: «العمل على إعادة المجد الإسلامي الذي جاء به الإسلام» كما تقرّر بشأن الندوة العالمية المنعقدة في ٢٧ و٢٨ شعبان عام ١٤١٣هـ الموافق ١٨ و١٩ فبراير عام ١٩٩٣م توجيه الدعوة إلى أربعة من الأساتذة من أندونيسيا، والولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا، والمملكة العربية السعودية لكتابة البحوث وتقديمها في الندوة المذكورة. وكان العنوان الذي اقترح عليّ للكتابة فيه ذا علاقة

بالعلم وهو: «مبدأ التقدم في نظر القرآن».

ولمّا كان العلم يسبق العمل وكانت الدراستان متكاملتين فقد تقرّر جمعهما تحت عنوان «تسخير العلم والعمل لمجد الإسلام» توخّياً للفائدة ونزولاً على الرّغبة الكريمة للقائمين على شؤون سلسلة كتاب دعوة الحق التي تصدرها شهرياً رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، في الجمع بين العملين معاً، شاكراً لهم السهر على خدمة الإسلام والمسلمين عن طريق نشر دعوة الحق وكلمة الصدق، سائلاً الله تعالى أن يجزيهم خير الجزاء وأن يجزل لهم المثوبة إنه على كل شيء قدير.

والله تعالى أسأل أن ينفع بهذا العمل، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يتقبله إنه جلّ وعلا أكرم مسؤول وأعظم مأمول. وصلى الله وسلم على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

مكة المكرمة
يوم الثلاثاء ١١/ ٥/ ١٤١٤هـ
الموافق ٢٦/ ١٠/ ١٩٩٣م

كتبه الفقير إلى عفو ربه
د. حسن محمد باجودة
أستاذ الدراسات القرآنية البيانية
بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

تمهيـــــد

بين يدي الحديث في مبـدأ التقدم في نظـر القرآن الكـريم والنجاح والفـلاح أي العلم، وبين يـدي الحديث عن مقومـات مجد الإسـلام من زاوية العمل، أود أن أشير في هيئة نقاط إلى بعض الأمور الأساسية .

أولاً : إن الحياتين، الأولى والآخـرة، متلازمتـان وغير منفصلتين في يقين المؤمن المسلم لله رب العـالمين . إن المسلم مـوقن بما قـرره الـدين الحنيف بأن الحياة الأولى هي حيـاة العمل والكدح والحرث، وبأن الحياة الآخـرة هـي حيـاة الجزاء وجني الثمار، وإنما يكـون الجزاء من جنس العمل، وإنما تكـون الثمار من جنس البـذور، فمن وجـد خيراً فليحمـد الله، ومن وجد غير ذلك فلايلومنّ إلا نفسه .

ثـانيـاً : هنـالك شرطان يجب تـوافـرهما في العمل الذي يتقبّلـه الله تعـالى بفضلـه، الشرط الأول أن يكون العمـل صالحاً بمقيـاس الإسـلام صواباً كما بينته سنـة المصطفى ﷺ، فهنالك الاتباع لا الابتداع . والشرط الآخـر أن يكـون العمل خالصـاً لله تعـالى، يـراد به وجهـه الكـريم جل وعلا، فلا مكـان للرياء والسمعة وحسـن الأُحدوثة[1] عن أمير المؤمنين أبي حفصٍ عمر بن الخطـاب رضي الله عنه قـال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امريء مانوى، متفق على صحته، رواه إماما المحدثين البخـاري ومسلم في كتابيهما اللذين هما أصحّ الكتب

(١) انظر مثلاً الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن تيمية ٢٧ تحقيق د. صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد بيروت، لبنان . الطبعة الأولى ١٩٧٦-١٣٩٦هـ .

المصنّفة[١] وعن أبي موسى عبدالله بن قيس الأشعري رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حميّة[٢] ويقاتل رياءً أيّ ذلك في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله، متفق عليه[٣] وعن أبي عبدالله جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنهما قال: كنّا مع النبي ﷺ في غزاة فقال: إنّ بالمدينة لرجالاً ماسرتم مسيراً ولاقطعتم وادياً إلا كانوا معكم حبسهم المرض، وفي رواية: إلا شركوكم في الأجر، رواه مسلم، ورواه البخاري عن أنسٍ رضي الله عنه قال: رجعنا من غزوة تبوك مع النبي ﷺ فقال: إن أقواماً خلفنا[٤] بالمدينة ماسلكنا شعباً[٥] ولا وادياً إلا وهم معنا، حبسهم العذر[٦] وجاء عن المشركين قوله عز من قائل في سورة الفرقان[٧] ﴿**وقدمنا إلى ماعملوا من عملٍ فجعلناه هباءً منثوراً**﴾ والهباء: دقاق التراب ومانبت في الهواء فلايبدو إلا في أثناء ضوء الشمس في الكوة[٨] وإذا كان الهباء المنتظم لاقيمة له فكيف وقد عبث به الهواء؟ لاشك أنه أقل قيمة، وإذا كان هذا هو مصير أعمال المشركين الصالحة فكيف بأعمالهم غير الصالحة![٩] إن السبب وراء ذلك الخسران المبين إشراكهم مع الله تعالى وارتكابهم الذنب الذي لايغفره الله تعالى فأعمالهم ليست

---

(١) رياض الصالحين للنووي ٤ و٥ باب الإخلاص وإحضار النية، وثمة الحديث بتمامه، وانظر المسند للإمام أحمد بن محمد بن حنبل ١/ ٢٨٥ حديث رقم ٣٠٠.

(٢) حميّة، بتشديد الياء التحتية: أي أنفة وغيرة محاماة عن عشيرته.

(٣) رياض الصالحين ٧، وانظر صحيح البخاري ١/ ٤٣.

(٤) خلفنا بسكون اللام أي وراءنا، أو بتشديد اللام من التخليف.

(٥) الشعب بكسر الشين المعجمة: الطريق في الجبل.

(٦) رياض الصالحين ٥، ٦.

(٧) الآية (٢٣).

(٨) مفردات الراغب الأصفهاني: «هبا» ٥٣٦.

(٩) درسنا الآية الكريمة في كتابنا تأملات في سورة الفرقان ٨٣ القاهرة ١٩٧٧م. وص١١١ مكة المكرمة ١٤١٤هـ.

خالصة لله تعالى .

إن اختلال الشرطين معاً أو أحدهما مبطلٌ للأعمال محبطٌ لثوابها .

ثالثاً : مفهوم العبادة في الإسلام واسع إلى أبعد درجات الاتساع فكل عملٍ صالح يقوم به الإنسان وهو يريد به وجه ربه الأعلى يعتبر عبادة، بما في ذلكَ لقمة الطعام التي يضعها الزوج في فم زوجته . جاء في الحديث المتفق عليه[1] أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة حينما مرض مرضاً شديداً عام حجة الوداع وجاءه النبي ﷺ يعوده وكان سعد ذا مالٍ ولايرثه سوى ابنته فأراد أن يتصدق بنصف ماله فقال رسول الله ﷺ لا، وأراد أن يتصدق بالثلث فقال رسول الله ﷺ : «الثلث والثلث كثير أو كبير، إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة[2] يتكفّفون[3] الناس ، وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى ماتجعل في في[4] امرأتك»[5] .

وهكذا لا فرق في الإسلام بين الأعمال التي تسمى دينية وبين الأعمال التي تسمى دنيوية، إن المقياس واحد في حقها ، وإن شرطي الصلاح والإخلاص لله تعالى ضروريان لقبول الأعمال واعتبارها عبادة لله تعالى بمعنى العبادة الواسع في الإسلام، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشِركَه . رواه مسلم[6] .

---

(١) رياض الصالحين ٦ ، ٧ .

(٢) عالة : فقراء .

(٣) يتكففون الناس : يمدون أكفهم إليهم يستعطونهم .

(٤) في في امرأتك : في فم امرأتك

(٥) رياض الصالحين ٦ ، ٧ .

(٦) رياض الصالحين : ٥٧٥ .

وعنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه رجل استُشْهد فأُتِي به فعرّفه نعمته فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استُشْهدت. قال: كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جريء! فقد قيل، ثم أُمر به فسُحِب على وجهه حتى أُلقي في النار، ورجل تعلّم العلم وعلّمه وقرأ القرآن، فأُتي به فعرّفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلّمت العلم وعلّمته وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت ولكنك تعلمت ليقال: عالم! وقرأت القرآن ليقال قاريء! فقد قيل، ثم أُمِر به فسُحِب على وجهه حتى أُلقِي في النار، ورجل وسّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأُتِي به فعرّفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: ماتركت من سبيل تحب أن ينفق فيها ألا أنفقت فيها لك، قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال: جواد! فقد قيل، ثم أُمِر به فسُحِب على وجهه حتى أُلقِي في النار**». (رواه مسلم)[1].

رابعاً: الإسلام علم وعمل، وفي الإسلام يسبق العلمُ العمل، جاء في سورة محمد ﷺ[2] قول الحق جل وعلا: ﴿**فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات. والله يعلم متقلبكم ومثواكم**﴾ وهذا الإمام البخاري في كتاب العلم من صحيحه يجعل هذه الآية الكريمة من سورة محمد منطلق حديثه عن العلم قبل العمل، يقول رحمه الله تعالى رحمة واسعة[3]: «بابٌ: العلم قبل القول والعمل، لقول الله تعالى: فاعلم أنه لا إله إلا الله، فبدأ بالعلم وأن العلماء هم ورثة الأنبياء وَرِثوا العلم، من أخذه أخذ بحظ وافر، ومن سلك طريقاً يطلب به علماً سهّل الله له طريقاً إلى الجنة. وقال جل ذكره: ﴿**إنما يخشى الله من**

---

(١) رياض الصالحين: ٥٧٦.

(٢) الآية: (١٩).

(٣) صحيح البخاري: ١/٢٦.

عباده العلماء﴾ وقال **﴿ومايعقلها إلا العالمون﴾ ﴿وقـالوا لو كنا نسمع أو نعقل مـا كنا في أصحـاب السعير﴾** وقال **﴿هل يستـوي الذين يعلمـون والـذين لايعلمـون﴾** وقـال النبي ﷺ: «من يـرد الله بـه خيراً يفقهـه في الدين» .

ولما كـان الجانب من الـدراسـة المتعلق بـالعمل ذا شقين اثنين ، يتعلق أحـدهما بالمجـد الإسـلامي ، ويتعلق آخـرهما بالعمل على إعـادة ذلك المجد بإذن الله تعالى فقد تألفت الدراسة من ثلاثة أقسام :

القسم الأول: مقومات النجاح والفلاح .

وهذه المقوّمات مستمدّةٌ من الآيات الخمس الأُول من سورة البقرة وهي :

١ – الاهتداء بنور القرآن الكريم .

٢– الإيمان بالغيب .

٣– إقام الصلاة .

٤– الإنفاق مما رزق الله تعالى عباده .

٥– الإيمان بالقرآن الكريم وبالكتب السماوية السابقة .

٦– الإيقان بالآخرة .

القسم الثاني : المجد الإسلامي .

ويتألف من العناصر التالية :

١ – أحوال البلاد والعباد قبل الإسلام .

٢– جهاد في سبيل الله تعالى .

٣– أسوة حسنة في الأخلاق والدعوة إلى الله تعالى .

٤– أسوة حسنة في مجال العلم .

القسم الثالث : العمل على إعادة المجد الإسلامي .

ويتألف من العناصر التالية :

١ - عقيدة واحدة .

٢ - أمةٌ واحدة .

٣ - كتابةٌ واحدةٌ ولغةٌ علميّةٌ واحدة .

٤ - مكان واحد .

٥ - زيادة مطردة في عدد السكان .

٦ - تكامل في المواد الأولية .

القسم الأول
مقوّمات النّجاح والفلاح



تبيّن مما سبق أن الإسلام دين ودنيا، آخرة وأولى، علم وعمل، كما تبين أن العلم في الإسلام يسبق القول والعمل، وأن الوحي هو المصدر الأول للعلم في الإسلام قرآناً مجيداً وسنةً مطهرةً مبيّنةً للقرآن الكريم. وحينما نتأمل آي الذكر الحكيم التي تشير في حيّز واحد إلى مقومات التقدم والنجاح والفلاح بأكثر من سواها، من الجائز أن تكون الآيات الخمس الأُوَل من سورة البقرة، قال تعالى: ﴿**الم. ذلك الكتاب لا ريب فيه هدىً للمتقين. الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون. والذين يؤمنون بما أنزل إليك وماأنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون. أولئك على هدىً من ربهم وأولئك هم المفلحون**﴾ والتقوى جعل النفس في وقاية مما يُخاف، فالتقوى في المعنويات بمنزلة الوقاية في المحسوسات، فهي تحفظ الشيء مما يؤذيه ويضرّه، وصار التقوى في تعارف الشرع حفظ النفس عمّا يؤثم، وذلك بترك المحظور. ويتم ذلك بترك بعض المباحات لما رُوِي: الحلال بيّن والحرام بيّن، ومن رتع حول الحمى فحقيق أن يقع فيه[1] وقد روى الترمذي وابن ماجه أن رسول الله ﷺ قال: لايبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع مالا بأس به حذراً مما به بأس، ثم قال الترمذي: حسن غريب[2]، وقد قيل إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل أبيّ بن كعب عن التقوى فقال له: أما سلكت طريقاً ذا شوك؟ قال: بلى. قال: فما عملت؟ قال: شمّرت واجتهدت، قال: فذلك التقوى[3].

إن القرآن الكريم يريد من جميع الناس ان يصلوا إلى مرتبة التقوى

---

(١) انظر مفردات الراغب الأصفهاني: «وقى» ٥٣٠ و٥٣١.
(٢) تفسير ابن كثير: ١/ ٤٠.
(٣) تفسير ابن كثير: ١/ ٤٠.

الـوجه الآخـر لـلإحسـان بأن تعبد الله كـأنك تراه فإن لم تكن تـراه فإنـه يراك[1] وإنما يتحقق ذلك عن طـريق تحقيق مجمـوعة من النعـوت التي يتصف بها المتقون المطبقون لتعاليم القـرآن الكريم وتعاليم أشرف الأنبياء والمرسلين. إن حظ هؤلاء المتقين بنص القرآن الكـريم هو التقدم والفلاح في الأولى والآخرة. وهذه هي الصفات أو عناصر النجاح والفلاح.

●●●

(١) صحيح البخاري ١/ ٢٠ ومسند الإمام أحمد ١/ ٣١٥ حديث رقم ٣٧٤.

[أ] الاهتداء بنور القرآن الكريم :

أشـارت الآية الكـريمـة الثانيـة إلى نـوع من الهدايـة ، قال تعـالى : ﴿ذلك الكتاب لاريب فيـه هدىً للمتقين﴾ وهذا النـوع من الهدايـة هو هـداية الـدّلالة والإرشـاد ، وهـو عمل المرسلين والنبيين والدعـاة إلى الله تعالى . جـاء في سورة الشـورى[1] خطـاباً للمصطفى ﷺ قـوله عـز من قـائل : ﴿وإنك لتهـدي إلى صراطٍ مستقيم . صراط الله الـذي لـه مـا في السماوات ومـا في الأرض ألا إلى الله تصير الأمــور﴾ ولايستطيع المرسلـون والنبيـون فضـلاً عن سـواهم تجاوز هـذا المستـوى من هـدايـة الـدلالـة والإرشاد ، وهذا النوع من الهداية عمل القرآن الكريـم .

وأشارت الآية الكريمة الخامسة إلى نـوع آخر من الهداية قال تعالى : ﴿أولئك على هـدىً من ربهم وأولئـك هم المفلحـون﴾ وهـذا النـوع هـو هدايـة التوفيق والسّداد . والله تعـالى هو وحده لاشريك لـه الذي يملك هـذا النـوع من الهدايـة ، قـال تعـالى[2] : ﴿فمن يـرد الله أن يهديـه يشرح صدره للإسـلام ومن يرد أن يضلّه يجعل صدره ضيقاً حـرجاً كأنما يصعَّد في السماء . كـذلـك يجعل الله الـرجس على الــذين لايــؤمنـون﴾ وقـال تعالى[3] : ﴿والذين اهتدوا زادهم هـدىً وآتاهم تقواهم﴾ وقال تعالى[4] : ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا . وإن الله لمع المحسنين﴾

---

(١) الآيات ٥٢ ، ٥٣ .
(٢) سورة الأنعام : آية ١٢٥ .
(٣) سورة محمد ﷺ : آية ١٧ .
(٤) سورة العنكبوت : آية ٦٩ .

فلنتحول إلى الآيـة الكريمة الثانيـة التي تتحدث عن هدى الـدلالة والإرشاد. قال تعالى: ﴿**ذلك الكتاب لاريب فيه هدىً للمتقين**﴾.

القرآن الكـريم كتاب هداية أولاً وآخـراً، فلنتدبر بعض آي الـذكر الحكيم وبعض أحـاديث المصطفـى ﷺ في هـذا المعنى، جـاء في سـورة الإسراء[1] قـولـه تعـالى: ﴿**إن هـذا القـرآن يهدي للتي هي أقـوم ويبشر المؤمنين الـذين يعملـون الصالحات أن لهم أجـراً كبيراً**﴾ وجاء في سـورة الزخرف[2] قوله تعالى: ﴿**فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم. وإنه لـذكر لك ولقومك وسـوف تسألون**﴾ وجاء خطـاباً لآدم وحواء عليهما السـلام في سورة طـه[3]، قولـه تعالى: ﴿**قال اهبطـا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو. فإما يأتينكـم منى هدىً فمن اتّبع هداي فلا يضل ولا يشقى. ومن أعـرض عن ذكري فإن لـه معيشة ضنكـاً ونحشره يـوم القيـامة أعمى. قـال رب لِمَ حشرتني أعمى وقـد كنت بصيراً. قـال كـذلك أتتك آيـاتنا فنسيتهـا وكـذلك اليـوم تنسى**﴾ قال ابـن عباس: فضمن الله لمن اتّبع القـرآن ألا يضلّ في الـدنيـا ولا يشقى في الآخـرة[4] وجاء في سورة النحل[5]قولـه تعالى: ﴿**وأنزلنا إليك الـذكر لتبين للناس مانزل إليهم ولعلّهم يتفكرون**﴾.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين. رواه مسلم[6].

---

(١) الآية ٩.
(٢) الآيات ٤٣-٤٤.
(٣) الآيات ١٢٣-١٢٦.
(٤) تفسير القرطبي ٧ والرسالة التدمرية لابن تيمية ٧٥.
(٥) الآية ٤٤.
(٦) رياض الصالحين: ٣٨٧.

وعن النَّوّاس بن سَمْعان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يُؤتَى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تَقْدُمُه سورةُ البقرة وآل عمران تحاجّان عن صاحبهما**» (رواه مسلم)[1] وفي تسمية المصطفى ﷺ البقرة وآل عمران بالزَّهراوين أقوال للعلماء منها أن الزهراوين بمعنى النيّرتين مأخوذة من الزَّهَر والزُّهرة وذلك إما لهدايتهما قارئهما بما يَزْهَرُ له من أنوارهما أي من معانيهما، وإما لما يترتب على قراءتهما من النور التام يوم القيامة[2] وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السَّفَرَة الكرام البررة. والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران. متفق عليه[3]، التتعتع: التردّد في الكلام عِيّاً وصعوبة. وإنما كان له أجران من حيث التلاوة ومن حيث المشقة. ودرجات الماهر فوق ذلك كله، لأنه قد كان القرآن مُتَعْتَعاً عليه، ثم ترقّى عن ذلك إلى ان شبّه بالملائكة. والله أعلم[4] وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه» رواه البخاري[5] وروى مسلم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقّلة[6] إن عاهد عليها[7] أمسكها، وإن أطلقها ذهبت وإذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار ذكره، وإن لم يقم به نسيه[8].

---

(١) رياض الصالحين ٣٨٦ .
(٢) انظر تفسير القرطبي ١٢٤٥ .
(٣) رياض الصالحين ٣٨٧ .
(٤) تفسير القرطبي ٦ .
(٥) رياض الصالحين ٣٨٧ وتفسير القرطبي ٥ .
(٦) الإبل المعقّلة أي المربوطة بالعُقُل جمع عِقال وهو حبل يشد به البعير في وسط ذراعه .
(٧) عاهد عليها: حافظ عليها وتردد عليها وتفقدها .
(٨) تفسير القرطبي ١٧ وانظر رياض الصالحين ٣٨٩ .

وإنّ لنا نحن الخَلَفَ في السَلَف الصالح أسوة حسنة في تلاوة القرآن الكريم وتدبره والعمل بمقتضاه، عن عثمان وابن مسعودوأُبَيّ أنّ رسول الله ﷺ كان يقرئهم العشر فلايجاوزونها إلى عشر أخرى حتى يتعلموا مافيها من العمل، فيعلمنا القرآن والعمل جميعاً[١] وعن أبي عبدالرحمن السُّلَميّ قال: كنا إذا تعلمنا عشر آيات من القرآن لم نتعلم العشر التي بعدها حتى نعرف حلالها وحرامها وأمرها ونهيها. وفي موطأ مالك أنه بلغه أن عبدالله بن عمر مكث على سورة البقرة ثماني سنين يتعلمها[٢]، وعن مالك عن نافع عن ابن عمر قال: تعلم عمر البقرة في اثنتي عشرة سنةً، فلما ختمها نحر جزوراً[٣] وقال عبدالله بن مسعود: إنا يصعب علينا حفظ ألفاظ القرآن، ويسهل علينا العمل به، وإن من بعدنا يسهل عليهم حفظ القرآن ويصعب عليهم العمل به[٤].

إن الأمة الإسلامية ملزمة بالاستمساك بالقرآن الكريم وبسنة خير الأنام ﷺ المبينة للقرآن الكريم وإلاّ حقّ فيها - لا سمح الله- شكوى المصطفى ﷺ إلى ربه جل وعلا يوم القيامة على نحو ماجاء في قوله عز من قائل في سورة الفرقان[٥]: ﴿**وقال الرسول يارَبّ إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا**﴾ وها هو ذا المصطفى ﷺ يخاطب المسلمين في حجة الوداع بقوله عليه الصلاة والسلام لهم في عرفات[٦]: «وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً، أمراً بيناً، كتاب الله وسنة نبيه» وها

(١) تفسير القرطبي ٣٤ .
(٢) تفسير القرطبي ٣٤ .
(٣) تفسير القرطبي ٣٤ والجزور بفتح الجيم مايجزر أي ينحر أو يذبح من النوق أو الغنم .
(٤) تفسير القرطبي ٣٤ .
(٥) الآية : ٣٠ .
(٦) السيرة النبوية ٤/ ٢٥١ طبع حلبي تصوير بيروت ١٩٨٥م .

هـو ذا القـرآن الكـريم يحذِّر المؤمنين أن تقســو قلـوبهم على غـرار أهل الكتاب الـذين قست قلوبهم بسبب طول الأمـد بينهم وبين نبيهم، قال عز من قائل[1]: **﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لـذكر الله ومانزل من الحق ولايكـونوا كـالـذين أوتـوا الكتاب من قبـل فطال عليهم الأمـد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون﴾**.

●●●

(١) سورة الحديد ١٦ .

[٢] الإيمان بالغيب :

أولى صفات المتقين الـذين يهتـدون بنـور القـرآن الكـريم الإيمان بـالغيب، وهـذا يعني أن صفـة الإيمان بـالغيب أولى درجـات الفـلاح والتقدّم والنجاح في حق المسلمين لله رب العـالمين بنص القرآن الكريم. والغيب: مصدر غـابت الشمس وغيرها إذا استترت عـن العين، يقال: غاب عنـي كذا، قـال تعالى: ﴿**أم كان مـن الغائبين**﴾ واستعمل في كل غـائب عن الحاسّة وعما يغيب عن علم الإنسـان بمعنى الغائب ويقـال للشيء غيب وغـائب باعتبـاره بـالناس لا بـالله تعـالى فإنه لايغيب عنـه شيء. والغيب في قـولـه: يـؤمنـون بـالغيب، مـالايقع تحت الحواس ولاتقتضيـه بـدايـة العقـول وإنما يعلم بخبر الأنبيـاء عليهم السـلام، وبـدفعـه يقع على الإنسـان اسم الإلحاد[١] «قـال أبوجعفـر الـرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى: ﴿**يؤمنون بالغيب**﴾ قال: يـؤمنون بـالله وملائكتـه وكتبه ورسلـه واليـوم الآخر وجنّتـه وناره ولقـائه ويؤمنون بالحياة بعد الموت وبـالبعث فهذا غيب كله، وكذا قال قَتادة بن دِعامـة»[٢] وبذلـك يكون معنى يـؤمنون: يصـدّقون[٣] وحينما يكون الإيمان بالغيب شاملاً أركـان الإيمان الستة ومنها القضاء والقدر[٤] يكون معنى ذلك أن الإيمان بـالغيب صفـة شـاملـة لكل مـاغـاب، يتسم بها

---

(١) مفـردات الـراغب الأصفهـاني، «غيـب» ٣٦٦ و٣٦٧ وانظـر تفسير الطبري ١/ ٧٨ وتفسير القرطبي ١٤٢.

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ٤١.

(٣) تفسير الطبري ١/ ٧٨ وتفسير القرطبي ١٤١.

(٤) تفسير القرطبي ١٤٢ وتفسير الطبري ١/ ٧٨.

المؤمن في ضــوء تبيين المصطفى ﷺ أركـــان الإيمان وهي ستــة، ويقع الإيمان وسطـاً بين الإسلام بأركـانـه الخمسة المعـروفة وبين الإحســان ذي الركن الواحد بأن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك[1].

ولمّا كـان الإيمان بــالله تعـالى ركنــاً مشتركـاً بين الإســلام والإيمان والإحسان فهـو أول أركان الإســلام والإيمان وهو كل الإحســان، ولمّا كان الإيمان بـالله تعالى أول مقـومـات الإيمان بـالغيب فإن كل ذلك دليل على مدى أهمية الإيمان بالغيب في حق كلٍّ من الفرد والجماعة والأمة، وبالتالي فـلا مكان لـدى الأمـة المسلمة لله رب العـالمين لما يسمى بـالإلحاد ولكل حماقةٍ من الحماقات التي تتطاول على مقـام الذات العلية بأدنى سوء. إنّ الأمة المسلمة لله رب العالمين تؤمن بالله تعـالى الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ربّاً وإلهاً، فهـو وحده لاشريك له مربّي عباده بنعمه وآلائه، وهـو وحـده لاشريك لـه المعبـود بحق، لا رب غيره ولا معبـود بحق سواه. تأتمر الأمـة المسلمة بما أمـرها الله تعالى بـه، وتنتهي عما نهاها الله تعالى عنـه. وكما كان الإيمان بـالله تعالى الـواحد الأحـد أولى صفات المؤمنين وأهمّ صفـــات المتقين بـدليل ابتـــداء نعـوت المتقين في الآيـــات الكـريمات بـه كـان الإلحاد أهم الصفـات السيئـة التي ينبغي على الأمـة المسلمـة أن تتخلص منها بـالحجة والبيـان واليد والسنـان، قال عـز من قـائل[2]، ﴿**ولله الأسماء الحسنى فـادعـوه بها وذروا الــذين يلحـدون في أسمائه، سيجـزون مـاكـانـوا يعملـون**﴾ وأصل الإلحاد في كـلام العـرب العـدول عن القصد والميل والجور والانحـراف[3] والمعنى اتـركوا الـذين

(١) انظر صحيح البخاري ١/ ٢٠ ومسند الإمام أحمد ١/ ٣١٥ حديث رقم ٣٧٤.
(٢) سورة الأعراف ١٨٠.
(٣) تفسير ابن كثير ٢/ ٢٦٩.

يميلون عن الحق في أسمائه حيث اشتقوا منهـا أسماءً لآلهتهم كاللات من الله والعزّى من العزيـز ومناة من المنان[١] ويقول ابن القيم[٢]: «وحقيقة الإلحاد فيها العدول بها عـن الصّواب فيها، وإدخال ماليس مـن معانيها فيها، وإخراج حقائق معانيها عنها»

إن الأمـة الإسـلامية حينما تتسم بحقيقـة الإيمان بـالله تعـالى وذلك بالاستسـلام لله تعالى بـالخضوع، والانقيـاد له بـالطاعـة، والخلوص من الشرك، تكون بإذن الله تعالى محققة لأهم صفـة ينبغي توافرها في خير أمة أخرجت للنـاس، وتكون بذلك منسجمـة ومتناغمة داخلياً وخـارجياً، وسيلة وغاية، حسّاً ومعنى.

إن الإيمان بالله تعالى حينما يكون حقـاً لن يكون بإذن الله تعالى شيء من الفصام النكد الـذي تغص به الدنيا اليوم بين الدين والـدنيا، الآخرة والأولى. إن مشركي العرب وقـد تورطوا في ضرب من هذا الفصـام النكد جاء عنهم في القرآن الكريم قول الحق جل وعلا[٣]: **﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبـاً فقالوا هذا لله بـزعمهم وهذا لشركائنـا فما كان لشركـائهم فـلا يصل إلى الله ومـاكـان لله فهـو يصل إلى شركـائهم سـاء مايحكمون﴾** إن الشيء ذاته يقال عن الجاهلية المعاصرة.

●●●

(١) الجلالين وتفسير ابن كثير ٢/ ٢٦٩ وتفسير القرطبي ٢٧٦٤ والتفسير القيّم ٢٩.
(٢) التفسير القيّم ٢٩.
(٣) سورة الأنعام ١٣٦.

[٣] إقام الصلاة :

الإسلام اعتقاد بـالجَنان (القلب) ونطق باللسان، وعمـل بالأركان (الأعضاء والجوارح) وقد كان الإيمان بـالغيب من نصيب الجنان في المقام الأول ويلحق بـالإيمان بالغيب الإيمان بالقـرآن الكريم وبسـائر كتب الله تعـالى، والإيقـان بالآخـرة وهي من الغيب كـذلك. ولما كـان الإيمان أو الاعتقاد بالجنـان أي بالقلب بحاجة إلى الـدليل العملي كان ذلك الدليل في الصلاة، أهم أركان الإسلام بعد الشهادتين، وهي عبادة تتجه إلى الله تعالى مبـاشرة وتجمع بين النطق باللسان والعمـل بالأركان. قـال عز من قائل في صفات المتقين الذين يهتـدون بالقرآن الكريم : ﴿**الذين يؤمنون بـالغيب ويقيمون الصـلاة**﴾ والمعـروف أن صيغة الفعـل المضارع تفيـد الاستمرار والتجـدّد والدّوام، فهـؤلاء المتقون مـداومون على أداء الصـلاة على أكمل وجـه. والصـلاة هنـا الصلوات الخمس. قـالـه مقـاتل. أو الفـرائض والنوافل قـاله الجمهـور[١] وحينما يعبر عن الصلاة بـاسمها، وعن الـزكاة بها يشملهـا ويشمل الصدقـات : ﴿**ويقيمـون الصلاة ومما رزقنـاهم ينفقـون**﴾ يصحّ أن نفهم من اشتمال القـول : ﴿**ومما رزقنـاهم ينفقون**﴾ على الزّكاة لأنها ركن إضافة إلى اشتمال القول على الصدقات أو النـوافل أسـاساً. كما يصحّ في المقـابل أن نفهم من القـول : ﴿**ويقيمون الصلاة**﴾ النوافل إضافة إلى اشتمال القول على الصـلاة المفروضة أساساً. «عن ابن عبـاس إقامة الصـلاة إتمام الركـوع والسّجود والتـلاوة والخشوع والإقبال عليها فيهـا، وقال قتادة : إقامـة الصلاة المحافظة على مـواقيتها

(١) البحر المحيط ١/ ٤٠ وانظر تفسير القرطبي ١٤٨ .

ووضوئها وركوعها وسجودها، وقال مقاتل بن حيان: إقامتها المحافظة على مواقيتها وإسباغ الطّهور بها وتمام ركوعها وسجودها وتلاوة القرآن فيها والتشهد والصلاة على النبي ﷺ فهذا إقامتها[١].

وما أكثر الآيات الكريمات والأحاديث النبوية في الصلاة. جاء في سورة العنكبوت[٢] قوله تعالى: ﴿**أتْلُ ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة. إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر. ولذكر الله أكبر. والله يعلم ماتصنعون**﴾. وبشأن صفات المؤمنين في سورة المؤمنون[٣] تبدأ الصفات بصفة الخشوع في الصلاة، قال تعالى[٤]: ﴿**قد أفلح المؤمنون. الذين هم في صلاتهم خاشعون**﴾ وتنتهي بصفة المحافظة على الصلاة، قال تعالى[٥] ﴿**والذين هم على صلواتهم يحافظون**﴾ أما سورة المعارج فإنها في حديثها عن المؤمنين المستثنين من جنس الإنسان الجزوع إذا مسّه الشّر، المنوع إذا مسّه الخير، فإنّها تصفهم إبتداءً بأنهم المصلون المداومون على أداء الصلاة، قال تعالى[٦]: ﴿**إلاّ المصلّين. الذين هم على صلاتهم دائمون**﴾ كما تصفهم انتهاءً بأنهم المحافظون على صلاتهم، قال تعالى[٧]: ﴿**والذين هم على صلاتهم يحافظون**﴾ وكان عليه الصلاة والسلام إذا حَزَ به أمر فَزِعَ إلى الصلاة[٨]. يقال: قام الشيء أي دام وثبت، من قولك قام الحق أي ظهر وثبت[٩] وأقامه أي أدامه، وإلى هذا المعنى أشار عمر بقوله: من حفظها وحافظ عليها حفظ دينه، ومن ضيّعها فهو لما سواها أضيع[١٠].

---

(١) تفسير ابن كثير ١/ ٤٢.
(٢) الآية: ٤٥.
(٣) الآيات ١-٩.
(٤) سورة المؤمنون ١، ٢.
(٥) سورة المؤمنون ٩.
(٦) سورة المعارج ٢٢، ٢٣.
(٧) سورة المعارج ٣٤.
(٨) تفسير القرطبي ١٤٨.
(٩) تفسير القرطبي ١٤٣.
(١٠) تفسير القرطبي ١٤٣.

وبشأن نهي الصلاة عن الفحشاء والمنكر ودورها البليغ في نظافة المجتمع ونقائه في إمكاننا أن نستدلّ على ذلك بدور الصلاة في المرحلة الثانية من مراحل تحريم الخمر في التهيئة لتحريم الخمر تحريماً قاطعاً وتلبية المجتمع المسلم الحكم بتحريم الخمر واعتبارها أم الخبائث والامتناع عن شربها على الفور حتى إنّ من كان في فيه شيء منها مجَّه. في الآية الكريمة التاسعة عشرة بعد المائتين من سورة البقرة جاء القول: **﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما﴾** وفي الآية الكريمة الثالثة والأربعين من سورة النساء جاء القول: **﴿ياأيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون﴾** وفي الآيتين الكريمتين التسعين والحادية والتسعين من سورة المائدة جاء التّحريم النهائي للخمر في قول الحق جل وعلا: **﴿ياأيها الذين آمنوا إنّما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون. إنّما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمس والميسر ويصدّكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون﴾** .

إن توزيع أوقات الصلوات في الإسلام لطيفٌ وجليلٌ وجميل، بحيث لا يتخلل وقت العمل أو الراحة صلاة مفروضة، وأعني بوقت العمل مابين صلاة الفجر والظهر، وبوقت الراحة مابين صلاة العشاء والفجر، وحينما يُنْهَى المؤمن في المرحلة الثانية من مراحل تحريم الخمر الثلاث عن قرب الصلاة وهو سكران فكأن ثمة وقتاً واحداً هو الذي يستطيع أن يتناولها فيه، أعني الليل ووقت الراحة بين صلاة العشاء وصلاة الفجر. ولكن المؤمن يقوم الليل ويتلو القرآن الكريم ويذكر ربّه

في كل الأوقات، وقد نصت الآية الكـريمة العشرون من سورة المزمل على أنّ طائفة من المؤمنين تقوم الليل كما يقوم المصطفى ﷺ وذلك معناه عدم الاقتراب من الخمـر. ومعناه أن للصـلاة قبل تحريم الخمـر تحريماً قاطعـاً دوراً بليغـاً في منع الناس من شربها من نـاحيـة، وتهيئتهم للامتنـاع عن شربها بالكليّة عند تحريمها من ناحيةٍ أخرى.

أمـا وقد تبين شيء من دور الصـلاة العظيم في اجتناب الخمـر قبل أن تحرّم تحريماً قاطعـاً وكان من سمات خير أمـة أخرجت للنـاس الامتثال لأوامـر الله تعالى ونـواهيه كما جـاءت في القـرآن الكريم والسّنّـة النبويـة المطهرة فإن واجب هذه الأمة المسلمة أن تمتثل لأحكام الله تعالى في تحريم الخبـائث وإحــلال الطيبـات. وكيف لا تجتنب الأمــة المسلمـة لله رب العـالمين الخمـر وهي أم الخبـائث، وهي التي ثبت شرعـاً وعقـلاً أذاهـا البـالغ، وهي التي يحرص أولـو النُّهى في البـلاد التي ابتليت بها ودمّـرت الأخـلاق والعفّة والصِّحّـة أن تقلل من الإدمـان عليها ففشلت، فضـلاً عن أن تنهى عنهـا وتحرّم شربها، قـال تعـالى[1]: ﴿**فـاعتبروا يـا أولي الأبصار**﴾.

إنّ دور الصـلاة بليغ في النهي عن كل فحشـاء ومنكـر فعلى الأمـة الإسـلامية أن تقيم الصـلاة وأن تعمـر المسـاجد بيـوت الله تعـالى ماديّـاً بتشييدهـا ومعنويّـاً بذكر الله تعـالى فيها، قـال تعالى[2]: ﴿**قل لعبادي الذين آمنـوا يقيموا الصـلاة وينفقوا ممـا رزقناهم سرّاً وعلانيـة من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خِلال**﴾ وقال تعالى[3]: ﴿**إنّما يَعْمُرُ مساجد الله من**

(١) سورة الحشر آية ٢ .
(٢) سورة إبراهيم آية ٣١ .
(٣) سورة التوبة آية ١٨ .

آمن بـالله واليوم الآخـر وأقام الصـلاة وآتى الزكـاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكـونوا من المهتـدين﴾ وقال تعـالى[1] : **﴿في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكـر فيها اسمه يسبح له فيها بالغـدو والآصال . رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله و إقام الصـلاة و إيتاء الزكاة يخافـون يوماً تتقلب فيـه القلـوب والأبصـار. ليجـزيهم الله أحسن مـاعملـوا ويـزيـدهـم من فضله . والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾** .

وكـانـت عامـة وصية رسـول الله ﷺ حين حضرته الـوفاة : الصـلاة ومـاملكت أيمانكم . حتى جعل يغـرغـر بها صدره ومـايكـاد يفيض بها لسانه[2] ﷺ .

●●●

(١) سورة النور ٣٦-٣٨ .

(٢) السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي ٣٤٣ .

[٤] الإنفاق مما رزق الله تعالى عباده :

قال تعالى : ﴿**ذلك الكتاب لا ريب فيه هدىً للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون**﴾ .

جمع القرآن الكريم بين الصّلاة والزكاة فيما يزيد على الثمانين موضعاً . وفي القول من سورة البقرة في صفات المتقين ﴿**ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون**﴾ يُجمَعُ بين الصلاة وبين الإنفاق مما رزق الله تعالى ، وتدخل الزكاة ضمناً في هذا النوع من الإنفاق . وفي النص على أن الإنفاق إنما هو من المال الذي رزق الله تعالى عباده تنبيه إلى مصدر هذا الرزق وطبيعته فيجب أن يكون طيّباً حلالاً لأن الله سبحانه وتعالى طيّب ولا يقبل إلا طيّباً .

وإذا كنا فهمنا من القول ﴿**ويقيمون الصلاة**﴾ دخول الصلاة المفروضة أساساً ، النوافل ضمناً ، فإنّا يصحّ أن نفهم من القول : ﴿**ومما رزقناهم ينفقون**﴾ شمول كلٍّ من الزكاة والصّدقات والنوافل جميعاً ، وكأنّ في هذا القول تنبيهاً كبيراً على النوافل إضافة إلى التنبيه على أهمية الزكاة ، الرّكن الثالث من أركان الإسلام . والمعروف أنه بعد الشهادتين ، أوّل أركان الإسلام وأهمِّها ، تأتي الصلاةُ متقدمةً في الدلالة على حقّ الله تعالى الذي يتّجه إليه جل وعلا مباشرة ، وتأتي الزكاة بعد ذلك متقدمةً في الدلالة على حق الله تعالى مروراً بعباده جل وعلا ، وعلى الأهمية المتميزة للمال في الإسلام . إن الصلاة إذا كانت تأتي على رأس العبادات فإن الزكاة تأتي على رأس المعاملات .

وإن الإنفاق مما رزق الله تعالى يشمل وراء الزكاة كلَّ ماينفقه المرء في سبيل الله تعالى وابتغاء مرضاته بها في ذلك نفقته على نفسه وعياله ومن في حكمهم من الأهل والأرحام، وذلك في ضوء مثل قوله عز من قائل في آيات الحكمة في سورة الإسراء[1] : **﴿وآت ذا القربى حقَّه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً. إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا. وإما تُعْرِضَنَّ عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولاً ميسوراً. ولاتجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً. إنّ ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر. إنّه كان بعباده خبيراً بصيراً﴾** .

وبشأن الإنفاق مما رزق الله تعالى نود أن نتحدث عن مسألة واحدة بالذات هي مسألة الوقف بشقّيه الخيريّ والذَّرِي انطلاقاً من الحديث النبوي الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة، صدقة جارية. أو علم ينتفع به. أو ولد صالح يدعو له**»[2] والمقصود بالصدقة الجارية الوقف[3] وهو في اللغة: الحبس، وفي الشرع: حبس الأصل وتسبيل الثمرة[4] أو المنفعة، والوقف أحياناً يكون على الأحفاد والأقارب ومن بعدهم إلى الفقراء، ويسمى هذا بالوقف الأهلي أو الذَّرّي. وأحياناً يكون على أبواب الخير ابتداءً ويسمى بالوقف الخيري[5] وقد وقف رسول الله ﷺ ووقف أصحابه المساجد والأرض والآبار والحدائق والخيل. ولايزال الناس يقفون من أموالهم إلى يومنا هذا[6] .

---

(١) الآيات ٢٦ - ٣٠ .
(٢) صحيح مسلم ١١/ ٨٥ .
(٣) فقه السنة ٣/ ٣٧٨ .
(٤) فقه السنة ٣/ ٣٧٨.
(٥) فقه السنة ٣/ ٣٧٨ .
(٦) فقه السنة ٣/ ٣٧٩.

وبما أن لكاتب هذه السطور تجربة مع الوقف فإنه في ضوء الخير العميم من الوقف الذّرّي والخيري ينتهز هذه المناسبة الطيبة المباركة كي ينبّه إلى الدور العظيم للوقف في الإسلام، لأنّ رأس المال ثابت ولأن المنفعة مستمرة بفضل الله تعالى. وما أكثر الأوقاف في ديار الإسلام وفي كل مكان، وما أحوج هذه الأوقاف للمحافظة عليها والعناية بها وتنميتها وصرف رَيْعِها في وجوه البر. إن الأوقاف حينما تجد العناية اللائقة بها فإنها بإذن الله تعالى ستغطي الكثير من احتياجات الأمة الإسلامية في جميع وجوه البرّ والخيرات.

وقديماً نظم السيوطي عشراً من خصال البِرّ في القول:

إذا مات ابن آدم ليس يجري ... عليه من فِعال غيرُ عشر

علومٌ بثّها ودعاء نجل ... وغرس النّخل والصدقات تجري

وراثةُ مصحف ورِباط ثغر ... وحفر البئر أو إجراء نهر

وبيتٌ للغريب بناه يأوى ... إليه أوبناءُ محلّ ذِكْر[1].

نسأل الله تعالى أن يلهم المسلمين رشدهم وأن يوفقهم لكل مايحب ويرضى.

●●●

---

(١) فقه السنة ٣/ ٣٧٩.

[أ] الإيمان بالقرآن وبالكتب السماوية السابقة :

من صفات المتقين الإيمان بالقرآن الكريم وبالكتب السماوية السابقة. إنّ المطلوب من المسلمين أن يُعنَوا بالقرآن الكريم العناية البالغة من حيث التلاوة والتفسير والعمل. والمعروف أن السنة النبوية المطهرة هي المبيّنة للقرآن الكريم. وإن للمسلمين أسوةً حسنةً في السلف الصالح الذي قفز درجات سلم الحضارة قفزاً بسبب تطبيقه تعاليم القرآن الكريم وتعاليم أشرف الأنبياء والمرسلين. وبفضل الله تعالى القرآن هو القرآن والسنة هي السنة وبقي أن تكون الهمّة هي الهمّة. إنّ ربَّ العزّة يخاطب الذين آمنوا في كل زمان ومكان بقوله عز من قائل[1] : **﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدّلنّهم من بعد خوفهم أمناً . يعبدونني لايشركون بي شيئاً . ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾** .

إن المطلوب من المؤمنين أن يؤمنوا بالله تعالى ربّاً، وبالقرآن الكريم منهجاً، وبالرسول العظيم إماماً، وأن يعملوا الصالحات، وأن يعبدوه جل وعلا وحده لا شريك له حق العبادة، قال عز من قائل[2] : **﴿ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾** .

---

(١) سورة النور آية ٥٥ .

(٢) سورة النساء آية ٥٩ .

والقرآن الكريم قد تكفل الله تعالى بحفظه إلى يوم الدين قال تعالى[1]: ﴿**إنّا نحن نزلنا الذكر وإنّا له لحافظون**﴾ والقرآن الكريم قد يسّره الله تعالى للذكر، قال تعالى[2]: ﴿**ولقد يسّرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر**﴾ والقرآن الكريم مصدّق للكتب السماوية السابقة مهيمن عليها حافظ لها أمين عليها شهيد أنها حقٌّ حينها توافقه. قال تعالى[3]: ﴿**وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه**﴾.

وبشأن الكتب السماوية السابقة ذكر القرآن الكريم أربعة منها هي صحف إبراهيم وتوراة موسى وزبور داود وإنجيل عيسى عليهم جميعاً صلوات الله تعالى وسلامه. وبشأن صحف إبراهيم وزبور داود عليهما السلام لا نكاد نعرف عنهما إلاّ الاسم. وبشأن توراة موسى عليه السلام وإنجيل عيسى عليه السلام تعرّضا بنصّ القرآن الكريم للكثير من التحريف والتغيير والتبديل والإضافة والحذف، جاء في سورة المائدة[4] قوله تعالى: ﴿**فبما نقضهم ميثاقهم لعنّاهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرّفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به**﴾ وقوله تعالى[5]: ﴿**ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه**﴾ وجاء في سورة آل عمران[6]: قوله تعالى: ﴿**وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله**

(١) سورة الحجر آية ٩ .
(٢) سورة القمر آية ١٧ .
(٣) سورة المائدة آية ٤٨ .
(٤) الآية ١٣ .
(٥) سورة المائدة الآية ٤١ .
(٦) الآية ٧٨ .

الكذب وهم يعلمون﴾ وقوله تعالى[1]: **﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيّننّه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس مايشترون﴾** وجاء في سورة البقرة [2]: قوله تعالى: **﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾** .

ومن الكتب التي بيّنت التّحريف البعيد المدى الذي تعرّضت له التوراة كتاب: إفحام اليهود، الذي ألفه باللغة العربية الإمام المهتدي السموءل بن يحيى المغربي ٥٧٠هـ تقديم، تحقيق، تعليق، الدكتور محمد عبدالله الشرقاوي طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية سنة ١٤٠٧هـ، ومن الكتب في نقد النصوص، التي بيّنت التحريف البعيد المدى الذي تعرّض له كل من التوراة والإنجيل والتي بينت سلامة النص القرآني تأكيداً لمعنى قول الحق جل وعلا: **﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنّا له لحافظون﴾** كتاب الطبيب الفرنسي موريس بوكاي الذي كتبه باللغة الفرنسية وترجم إلى عدد من اللغات منها اللغة العربية بعنوان: القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم. دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٩م. إنّ بياض الأيام وسواد الليالي يؤكدان ماقرّره القرآن الكريم من حفظ الله تعالى القرآن الكريم من أدنى سوءٍ وتحريف، وما قرره من تحريف كلٍ من التوراة والإنجيل.

---

(١) سورة آل عمران ١٨٧ .

(٢) الآية ٧٩ .

إن المسلمين يؤمنون بكل مـاجاء في القرآن الكريم، وممّا يـؤمنون به مايتعلق بـالكتب السماوية السـابقة، وبخـاصة التـوراة والإنجيل، وممّا يمتثلون لـه هذه التـوجيهات القرآنيـة المتعلقة بالقـرآن الكريم وبـالتوراة والإنجيل، وبمجـادلـة أهل الكتاب، قـال تعـالى[1]: ﴿**اُتْلُ مـا أوحي إليك من الكتاب وأقم الصـلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشـاء والمنكر. ولذكر الله أكبر. والله يعلم ماتصنعون. ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحـد ونحن له مسلمون. وكـذلك أنزلنـا إليك الكتاب. فالذيـن آتيناهم الكتاب يؤمنون بـه. ومن هؤلاء من يؤمن بـه. وما يجحد بآياتنـا إلا الكافرون. وماكنت تتلو من قبلـه من كتابٍ ولا تخطّه بيمينك إذاً لارتاب المبطلـون. بل هو آيات بينـات في صدور الـذين أوتوا العلم. ومايجحد بآياتنا إلاّ الظّالمون**﴾.

(١) سورة العنكبوت ٤٥-٤٩.

[٦] الإيقان بالآخرة :

اليـوم الآخـــر جـزء من الغيب في قـــول الحق جل وعــلا : ﴿**ذلك الكتـاب لا ريب فيه هـدىً للمتقين . الذين يـؤمنون بـالغيب**﴾ والإيمان باليوم الآخـر أحد أركان الإيمان الستة وهي أن تؤمن بالله ومـلائكته وكتبه ورسله واليـوم الآخر وبـالقدر خيره وشره مـن الله تعالى[١] وبذلـك نكون أمام حديث خاص عـن اليوم الآخر في القول : ﴿**وبالآخرة هم يوقنون**﴾ بعد الحديث العـام عنه وذلك ضمن الحديث عن الإيمان بـالغيب الذي يندرج تحته الإيمان بـاليوم الآخر. ولكننا الآن بصدد جملـة (يوقنون) وكأن اليوم الآخـر بالـذات يحتاج إلى درجـة أرفع من الإيمان به ألا وهـي درجة الإيقان . إن من صفـات المتقين أنّهم يوقنون بالآخـرة ، وإنما احتاج اليوم الآخـر إلى مـرتبـة الإيقـان بسبب حظّـه الصّرف من الغيب ، فثمّـة بعث وحساب وثـواب أو عقاب وجنـة أو نار ورؤية للحـق جل وعلا في حق المؤمنين المتقين إلى غير ذلك من مظاهر للغيب .

وإنّ في النص على الإيقـان باليـوم الآخـر تنبيهاً لنـا نحن المسلمين على وجـوب الاستعداد لـذلك اليوم المجمـوع لـه الناس المشهـود وذلك بعمل الصـالحات واجتنـاب السيئات ، وعلى وجوب الارتقـاء إلى مستوى اليقين بشأن يـوم القيامـة . ومـا معنى الإيقـان بيوم القيـامـة إضافـةً إلى الاستعداد له؟ محاربة الإلحاد بكل صـوره وتصحيح مسار الحضارة المادّيّة المعـاصرة ذات النصيب الأكبر من الفصـام النكـد بين الدّين والـدنيـا ، الآخرة والأولى ، وهـو مايسمى في أبسط الصور بـالعَلْمانية أي اللادينية ، وذات المبدأ غير الإنساني : الغاية تبرّر الوسيلة .

---

(١) انظر مثلاً صحيح البخاري ١/ ٢٠ وصحيح مسلم ١/ ١٥٧ .

إن الإيقان باليـوم الآخر معناه مراقبـة الله تعالى في السر والعلن، في النيّة والقـول والعمل، لأن الإنسان على يقين بأنـه محاسب على كل ذلك **﴿يوم لاينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم﴾**[1] .

إنّ الأمـة الإسلاميـة وحدهـا هي التي طبّقت تلك المبـاديء حينما كانت في يدهـا مقاليد الأمور بفضل الله تعـالى فأنصفت المظلوم ونصرت الضعيف ونشرت العدل[2]، وإن الأمة الإسـلامية هي الأهـل لأن تعاود الكـرة وهي المؤهّلـة لـذلك بإذن الله تعالى شريطـة الاستمسـاك بتعـاليم القرآن الكريـم وتعاليم أشرف الأنبياء والمرسلين محمد بن عبدالله ﷺ .

(١) سورة الشعراء ٨٨ - ٨٩ .

(٢) انظـر مثـلاً من روائع حضـارتنـا للـدكتـور/ مصطفى السبـاعي، فصـل أخـلاقنـا الحربيـة ٩٥-١١٠ .

القسم الثاني
المجد الإسلامي

[أ] أحوال البلاد والعباد قبل الإسلام :

من المعروف أن المصطفى ﷺ ولد في مكة المكرمة صبيحة يوم الاثنين الثاني عشر من شهر بيع الأول عام الفيل الموافق سنة ٥٧٠م[١] وقيل سنة ٥٧١م[٢] فما هي أحوال البلاد والعباد خارج جزيرة العرب وداخلها آنذاك؟

كان الناس خارج الجزيرة العربية فريقين : أتباع الدين السماوي وهم اليهود والنصارى ، وهؤلاء قد تغلغلت التعاليم الوثنية في أعماقهم منذ فجر كل من اليهودية والنصرانية[٣] وقد كانت اليهودية عقيدة سلالية عنصرية ، كما كان المسيحيون مختلفين أشد الاختلاف إلى حد الاقتتال حول طبيعة المسيح وحقيقته عليه الصلاة والسلام . والمعروف أن أتباع المسيح عليه الصلاة والسلام ظلوا في مجموعهم مستمسكين بعقيدة التوحيد زهاء ثلاثة قرون وساروا قرابة ثلاثمائة سنة على خطوات المسيح ثم بدّلوا[٤] .

والفريق الآخر من الناس خارج الجزيرة العربية هم في مجموعهم وثنيون يعبدون الأصنام ، أما في فارس فقد عُرف المجوس من قديم الزمان بعبادة العناصر الطبيعية وأعظمها النار[٥] وأساطير الديانة

---

(١) انظر مثلاً سيرة خاتم النبيين لأبي الحسن الندوي ٢٧ ، ونور اليقين في سيرة سيّد المرسلين للشيخ محمَّد الخضري ١٠ ، والفصول في سيرة الرَّسول ﷺ لابن كثير ٩١ ، والسيرة النبوية لابن هشام ١/ ١٦٧ .

(٢) انظر مثلاً : نور اليقين ١٠ .

(٣) انظر مثلاً : السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي ١-٤ .

(٤) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم ١٤٢ .

(٥) السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي ٤ .

الإيرانية لا تقل غرابة عن أساطير الديانتين الإغريقية والهندية[1] وكانت البوذية منتشرة في الهند وآسيا الوسطى وقد تحولت وثنية تحمل معها الأصنام حيث سارت[2] وفي الهند بلغ عدد الآلهة في القرن السادس الميلادي ثلاثمائة وثلاثين مليون إله[3] ويقول أستاذ هندكي وهو يتحدث عن الهند في العهد الذي يلي مباشرة ظهور الإسلام في جزيرة العرب : كانت الديانة الهندكية والديانة البوذية وثنيتين سواءً بسواءً[4] لقد كانت الدنيا كلها من البحر الأطلسي إلى المحيط الهادى غارقة في الوثنية . وكأنما كانت المسيحية والديانات السامية والديانة البوذية تتسابق في تعظيم الأوثان وتقديسها[5] .

وإن من أهم الأدواء التي كانت منتشرة آنذاك غنى الحكام الفائق وفقر المحكومين المدقع ، ونظام الطبقات الذي يعتبر بعض الحكام من سلالة الآلهة[6] وبعض المحكومين منبوذين وأشقياء[7] هذا إلى امتهان المرأة وانحطاطها إلى درك الإماء فقد كان الرجل مثلاً قد يخسر امرأته في القِمار[8] .

فإذا تحولنا إلى جزيرة العرب تبينا أن حظ العرب ليس بأحسن من حظ غيرهم من الأمم وذلك أن زمان إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام

---

(١) السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي ٥ .
(٢) السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي ٦ .
(٣) السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي ٦ .
(٤) السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي ٦ .
(٥) السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي ٧ .
(٦) السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي ١٣ ، وماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ٣٩ .
(٧) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ٥٠ .
(٨) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ٥٠ ، والسيرة النبوية لأبي الحسن الندوي ١٥ .

كـان قبل بعثة محمـد ﷺ بنحـو ألفين وخمسمائة سنة ولم يبعث الله تعـالى إليهم في أثنـاء ذلك رسـولاً[1] حتى بعث الله تعـالى فيهم خـاتم الأنبيـاء وأشرف المرسلين محمـد بن عبـدالله ﷺ الذي أخـرجهم الله تعـالى بـه من الظلمات إلى النـــور ومـن الضـــلال المبين إلى الهدى واليقين قـــال تعالى[2] : ﴿**هـو الذي بعث في الأميين رسـولاً منهم يتلو عليهم آيـاته ويـزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كـانوا من قبل لفي ضلالٍ مبين**﴾ ومن الآفات المنتشرة فيهم وأد البنات وشرب الخمر والميسر والربـا والأخذ بالثأر وعبادة الأوثان . وكان في جوف الكعبة وفي فنائها ثلاثمائة وستون صنماً[3] .

وشـاء الله سبحانـه وتعالى أن يصطفي محمـد بن عبدالله ﷺ خـاتم النبيين وأشرف المرسلين من العرب الأميين وقـد قال تعالى[4] : ﴿**الله أعلم حيث يجعل رسالته**﴾ روى مسلم في صحيحه عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قـال : قال رسول الله ﷺ : إن الله اختـار كنانـة من ولد إسماعيل ثم اختار من كنانة قريشـاً ، ثم اختار من قريش بني هاشم ، ثم اختارني من بني هاشم[5] وحينما سئل رسول الله ﷺ عن أول أمره قـال : أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى[6] . جـاء في سورة البقـرة على لسان إبـراهيم وإسماعيل عليهما السـلام وهما يـرفعـان القواعـد من البيت الحرام قـولـه تعالى[7] : ﴿**ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلـو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم . إنك أنت العزيز الحكيم**﴾ وجاء في سورة الصف[8] قوله تعالى : ﴿**وإذ قـال عيسى ابن مريم يـابني إسرائيل إني رسـول الله إليكم**

---

(١) مبادىء الإسلام لأبي الأعلى المودودي ٤٨ .
(٢) سورة الجمعة آية ٢ .
(٣) السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي ٨ .
(٤) سورة الأنعام ١٢٤ .
(٥) الفصول في سيرة الرسول لابن كثير ٨٩ .
(٦) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ٦٤ .
(٧) سورة البقرة آية ١٢٩ .
(٨) الآية ٦ .

مصدّقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً بـرسولٍ يأتي من بعدى اسمه أحمد . فلمّا جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين﴾ .

وربما امتاز عرب الجاهلية بأنهم كـانوا أقرب إلى الفطرة من غيرهم ، وأنهم لم يفسـدهم الترف والأخـذ بنصيبٍ كبير من الحضـارة ، بـدليل أن أهل مكة مثلاً حينما كانت لهم السلطة قبـل الهجرة إذا كانوا لم يؤمن منهم سوى ثـلاثمائة شخص[1] وبنسبة واحـد من خمسين من أهل البلد[2] أو اثنين بالمائة ، وذلك حصيلـة دعوة المصطفى ﷺ لهم ثـلاث عشرة سنة ، فإن كل سكـان جزيـرة العرب يتحـولون خـلال عشر سنوات من دعـوة المصطفى ﷺ بعـد الهجـرة مـن الشرك إلى التـوحيـد ومن الكفـر إلى الإسلام[3] إن جزيـرة العرب هي أيضاً تحولـت من الفرقة إلى الـوحدة[4] وهي وحـدها تشكل سـدس مساحـة عالم الإسـلام[5] ولا يكاد ينقضي العجب حينما يتبين أن تـوحيد جـزيـرة العرب تحت رايـة الإسلام وإمـرة المصطفى ﷺ تمّ بسفك أقل قـدرٍ مـن الـدمـاء وإزهـاق أقل عـدد من الشهداء والقتلى من المسلمين والمشركين[6] لقـد كان العـدد ألفاً وثمانيـة عشر شخصاً[7] المسلمون منهم ٢٥٩ والكفار ٧٥٩[8] .

---

(١) نظرية الإسلام وهديه لأبي الأعلى المودودي ١٢٥ .

(٢) السيرة النبوية الشريفة ١١ .

(٣)انظر هنا : نظـرية الإسلام وهديه لأبي الأعلى المودودي ١٢٥ ، والإسلام الفـاتح للدكتور حسين مؤنس٣ ، والإسلام اليوم لأبي الأعلى المودودي ١٠ .

(٤) انظر مثلاً : دحض بعض افتراءات دائرة المعارف اليهودية للمؤلف ٦ .

(٥) الإسلام الفاتح ٣ .

(٦) انظر مثلاً : نظرية الإسلام وهديه للمودودي ١٢٠ .

(٧) السيرة النبـويـة لأبي الحسن النـدوي ٣١٥ ، ومـاذا خسر العـالم بـانحطـاط المسلمين ١٩٣ ، وانظر : الإسلام اليوم لأبي الأعلى المودودي ١٢ .

(٨) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ١٩٣ .

وبعد مضي مايزيد على ألفٍ وأربعمائة سنةٍ من هجرة المصطفى ﷺ يتبين الناظر إلى أدوار الشعوب المختلفة في نشر الإسلام أن حظّ العرب – الذين يجهلون اليوم أقدارهم وللأسف- كان أوفر من حظّ سواهم. يقول على سبيل المثال الدكتور حسين مؤنس في هذا الشأن[1]: «ولقد تولّت شعوبٌ إسلامية كثيرة فتح البلاد للإسلام مثل الفرس والترك بشتى صنوفهم، ولكن العرب وحدهم هم الذين فتحوا البلاد والقلوب معاً، وجعلوا ممّا فتحوا بلاد عروبةٍ وإسلام حقاً، كما ترى في فتوح العراق والشّام ومصر والمغرب والسودان. أمّا ما فتحه غيرهم فلا يصل قطّ إلى هذه النتيجة الحاسمة. وإليك مافتحه الأتراك العثمانيون من بلاد أوربا، فإنه لم يخلّف، على ضخامته، إلاّ إسلاماً قليلاً. وكان الأفغان وأبناء المغول أحسن حظاً في الهند. وسبحان ربك الذي اختار نبيه من بين هذا الجنس الطيّب، الحسن العشرة، القريب من القلوب، ففتح به البلاد وقلوب العباد. والله أعلم حيث يضع رسالته»[2].

---

(١) الإسلام الفاتح ١٩.

(٢) وانظر هنا مثلاً: شهادة الحق لأبي الأعلى المودودي ٧، وأثر العرب في الحضارة الأوروبية للأستاذ عباس محمود العقاد ١١٦.

[٢] جهاد في سبيل الله تعالى :

حينما كان المصطفى ﷺ في الأربعين من عمره أرسله الله تعالى رحمة للعالمين[١] ومكث عليه الصلاة والسلام قبل الهجرة بمكة ثلاث عشرة سنةً يدعو إلى ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ولم يزدد كفّار مكة إلا عتواً في الأرض واستكباراً. وقد أذن المصطفى ﷺ لبعض الصحابة في الهجرة إلى الحبشة مرتين اثنتين تحت وطأة بطش قريش بالمؤمنين[٢] ثمّ كان الإذن بالهجرة إلى المدينة المنورة. وبهجرته عليه الصلاة والسلام إلى المدينة المنورة ولدت دولة الإسلام. وبعد عشر سنوات لحق المصطفى ﷺ بالرفيق الأعلى. وبعد أن كانت حدود الدولة الفتية بعد الهجرة لا تتجاوز بضعة أميال مربعة هي حدود المدينة المنورة العاصمة، أصبحت حدود هذه الدولة حينما توفّى المصطفى ﷺ تغطي أكثر من مليون ميل مربع[٣].

والمعروف أن المكي من القرآن، وهو ما نزل قبل الهجرة، يعالج أسس العقيدة، وأن المدني من القرآن، وهو ما نزل بعد الهجرة، يعالج شؤون الدولة الفتية، والأمة النامية، والمجتمع المتوثب. ومما ارتبط بالمدني من القرآن آيات الأحكام، لأنّ الأحكام بحاجة إلى الدولة التي تطبقها وتنفذها، والدولة إنما وجدت بعد الهجرة.

---

(١) انظر مثلاً : الفصول في سيرة الرسول لابن كثير ٩٦ .

(٢) انظر مثلاً : السيرة النبوية دروس وعبر د. مصطفى السباعي ٤٨ . وفيه «حتى مات منهم من مات تحت العذاب وعمي من عمي» .

(٣) انظر مثلاً : الإسلام اليوم لأبي الأعلى المودودي ١٠ .

ومما له علاقة بالأحكام الآيات الكريمات المتعلقات بالقتال وبالجهاد في سبيل الله تعالى. إنّ المسلمين في مكة المكرمة حينما آنسوا في أنفسهم، قبل الهجرة، القدرة على القتال استأذنوا المصطفى ﷺ في القتال فنزل قوله تعالى[1]: ﴿**كفّوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة**﴾ ولما كان الحق بحاجة إلى القوة التي تحميه كان الإذن من الله تعالى للمؤمنين في السنة الثانية من الهجرة بالدفاع عن أنفسهم وذلك في قوله عزّ من قائل[2]: ﴿**أُذن للذين يقاتَلون بأنهم ظلموا وإنّ الله على نصرهم لقدير. الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حقٍّ إلاّ أن يقولوا ربنا الله. ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لَهُدِّمَتْ صوامعُ وبِيَعٌ وصَلَوَاتٌ ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً. ولينصرن الله من ينصره. إن الله لقوي عزيز. الذين إن مكّنّاهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر. ولله عاقبة الأمور**﴾ ثم كان الأمر للمؤمنين بقتال الذين يقاتلونهم من المشركين. قال تعالى[3]: ﴿**وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا. إن الله لا يحب المعتدين**﴾ وكان نزول هذه الآية الكريمة في صلح الحديبية سنة ستّ من الهجرة[4] ثم كان الأمر للمؤمنين بأن يقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونهم كافة، قال تعالى[5]: ﴿**وقاتلوا المشركين كافةً كما يقاتلونكم كافةً واعلموا ان الله مع المتقين**﴾ ويدخل في ذلك أمر الله تعالى المؤمنين بأن يقاتلوا الذين لايدينون دين الحق من أهل الكتاب من اليهود والنصارى. قال تعالى[6]: ﴿**قاتلوا**

---

(١) سورة النساء آية ٧٧، وانظر أسباب النزول للنيسابوري ١٩٧.
(٢) سورة الحج ٣٩ - ٤١، وانظر أسباب النزول ٣٥٧.
(٣) سورة البقرة آية ١٩٠.
(٤) انظر: أسباب النزول ٨٧، ونور اليقين ٢٠٩.
(٥) سورة التوبة آية ٣٦.
(٦) سورة التوبة آية ٢٩.

الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرّمون ما حرّم الله ورسوله ولايدينون دين الحقّ من الذين أوتوا الكتاب حتّى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون﴾ .

ونبادر إلى القول إنّ الإسلام فتح بنفسه أضعاف مافتح المجاهدون في سبيل الله تعالى[1] .

عرفنا أن جزيرة العرب تحولت في حياته ﷺ وقبل أن يلحق بالرفيق الأعلى من الشرك إلى التوحيد ومن الفرقة إلى الوحدة، فقد قاد المصطفى ﷺ بذاته الشريفة ثمانياً وعشرين غزوة وبعث سبعاً وأربعين سريّة يقودها قوّاده عليه الصلاة والسلام[2]وبعد وفاته عليه الصلاة والسلام كانت حادثة الرّدة التي جرت في أوائل خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه واستمرت نحو سنة كاملة، ثم تصاعد مدّ الفتح الإسلامي على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأوائل عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه حتى أصبح الفتح طوفاناً عارماً[3] ووصف بكلمة الانفجار. أي مَثَلُ السرعة الهائلة التي أخذ بها الإسلام في الانتشار والازدهار كمثل انفجار المتفجّرات[4] واستمرت حركة الفتح تسعاً وثمانين سنة، من سنة إحدى عشرة هجرية إلى سنة مائة هجرية[5] ٧١٨م[6] من الصين شرقاً إلى فرنسا غرباً ومن سيبريا شمالاً إلى المحيط جنوباً[7] وتضم هذه البلاد

(١) انظر مثلاً: الإسلام الفاتح ٤، ١٧، ١٨، والنبي الخاتم ﷺ ٦١ .
(٢) انظر مثلاً : العسكرية العربية الإسلامية اللواء الركن محمود شيت خطّاب ٣٢، وانظر: أوروبا والإسلام د. عبدالحليم محمود ١٥٤، وماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ٨٣ .
(٣) العسكرية العربية الإسلامية ٣٢ .
(٤) الإسلام اليوم لأبي الأعلى المودودي ١٥ .
(٥) العسكرية العربية الإسلامية ٥٩ .
(٦) العسكرية العربية الإسلامية ٣٢ .
(٧) العسكرية العربية الإسلامية ٥٩ .

الشاسعة في الوقت الحاضر زهاء سبع وثمانين مملكة وجمهورية وإمارة ومشيخة في آسيا وأوروبا وأفريقية[1] وكان عَلَمُ الإسلام يرفرف على كل تلك المناطق . وفي عام ٧٥٠م أي بعد موت محمد ﷺ بـ ١١٨ عاماً أصبح قَدْح الزَّنْد في المجالات السياسية والتجارية في الشرق الأدنى في يد الدولة الإسلامية الجديدة التي مدت سلطانها على المنطقة جغرافيّاً وثقافيّاً[2] وإذا كانت الإمبراطورية الرومانية قد احتاجت ألف عام حتى نمت إلى اتساعها الجغرافي الكامل وحتى بلغت نضجها السياسي ، فإن الدولة الإسلامية بزغت ثم بلغت أشدها في مدة وجيزة تبلغ نحو ثمانين عاماً[3] وإذا كان قرنٌ واحدٌ من الزمان كافياً لتقويض الإمبراطورية الرومانية فقد كانت الحاجة ماسة إلى أكثر من ألف ومائتي عام من الانحلال البطيء حتى يتم الانهيار السياسي نهائيّاً، ذلك الانهيار الذي تمثل في إلغاء الخلافة العثمانية ، والذي تبعته العلامات الأولى فقط للتفكك الذي نشهده اليوم في البناء الاجتماعي الإسلامي[4] .

ونحن في حديثنا عن الفتوح الإسلامية التي شملت زهاء ثلث الجزء المعمور من الكرة الأرضية آنذاك نود أن نشير إلى عدة أمور هي :

١ - حينما يصل المسلمون إلى أي مكانٍ هم بفضل الله تعالى يستقرّون ولا يخرج الإسلام إلا بأعمالٍ شنيعة ضدّه من قبل خصومه ، وذلك على غرار الأعمال الشنيعة التي عملت ضد الإسلام وأهله في

(١) العسكرية العربية الإسلامية ٤٩ .
(٢) الإسلام قوة الغد العالمية باول شمتز ترجمة د. محمد شامة ٢٤ .
(٣) الإسلام على مفترق الطرق محمد أسد ترجمة د. عمر فرّوخ ٣٦ .
(٤) الإسلام على مفترق الطرق ٣٧ .

الأندلس قديماً إسبانيا حديثاً، إثر زوال دولة الإسلام في الأندلس، بعد حكم دام زهاء ثمانية قرون. إن المسلمين حينما كانت الكلمة لهم انصفوا المظلومين. وها هو ذا غوستاف لوبون يقول: إنّ الأمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب ولا ديناً سمحاً مثل دينهم[1] ويقول رينو في تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط: إنّ المسلمين في مدن الأندلس يعاملون النصارى بالحسنى، كما ان النصارى كانوا يراعون شعور المسلمين فيختنون أولادهم ولا يأكلون لحم الخنزير[2] وفي مقابل رحمة المسلمين وعدلهم ومعاملتهم الآخرين بالحسنى انظر مافعله الإسبان حين استولوا على غِرناطة آخر مملكة للإسلام في الأندلس بعد ان أعطوا المسلمين بضعة وستين عهداً باحترام ديانتهم ومساجدهم وأموالهم وأعراضهم، ولكنهم لم يرعوا عهداً، ولم يفوا بذمة، ولم يعفّوا عن سفك الدماء وإزهاق الأرواح وسلب الثروات. فلم يكد يمضي على سقوط غِرناطة اثنتان وثلاثون سنة حتى أصدر البابا أمره عام ١٥٢٤م بتحويل جميع مساجد إسبانيا إلى كنائس! ولم تمرّ بعد ذلك أربع سنوات أخرى حتّى لم يبق في إسبانيا كلها مسلمٌ واحد! هذا هو وفاؤهم بالعهود وذلك هو وفاؤنا[3].

٢- فتح الإسلام بذاته أضعاف ما فتح المجاهدون. وقد شاء الله سبحانه وتعالى أنه في الوقت الذي يقتطع فيه جزءٌ من أجزاء الإسلام،

---

(١) من روائع حضارتنا د. مصطفى السباعي ٩٤، والسيرة النبوية د. مصطفى السباعي ١٥٥.

(٢) من روائع حضارتنا ٩٢.

(٣) من روائع حضارتنا ١٠٨، ويقول أبوالحسن الندوي في كتاب: إلى الإسلام من جديد: ٢٢: «وهل إسبانيا الحاضرة إلا مدنية بلا روح، وحياة بلا مبدأ وأمة بغير رسالة للعالم». وتقول زيجريد هونكة، مجلة المنهل العدد ٤٩٤ ص١٣٩: «والحقيقة أنه بخروج المسلمين من الأندلس عام ١٤٩٢م انتهى عهد السّماحة إلى الأبد».

ويتم ذلك عـادةً حينما يكـون المسلمون ضعفـاء، يضمّ الإسـلام الـدين الطيار إلى حـوزته أراضي أوسع وممالك أرحب. إنـه - على سبيل المثال- في الـوقت الذي تضيع فيـه الأنـدلس يضم الإسـلام إلى حوزتـه في تلك الأثنـاء ممـالك في آسيـا الصغرى وفي جنـوب شرقيّ آسيـا. وإنـه - على سبيل المثـال أيضـاً - في الـوقت الذي تقـوم فيـه دولـة البغي إسرائيل في أرض فلسطين وتطرد أهلها تقوم دولة الباكستان الفتيّة. ثم إن الأمل كبيرٌ في الله تعالى أن يعود للإسلام مجده ويلتئم عقده.

٣- إن الإسلام الدين الطيار إنما استطاع أن يستقر في الأماكن التي وصل إليها بسبب أخلاق أتبـاعه الفاضلة، فـالثابت أن المسلمين فتحوا بأخلاقهم القلوب بأكثر ممـا فتحت سيوفهم الحصون، ولله الحمد والمنة.

وهذا ما سنحاول بإذن الله تبيينه فيما يلي:

٣ - أسوة حسنة في الأخلاق والدّعوة إلى الله تعالى:

بإرادة الله تعالى توحدت جزيرة العرب تحت إمرة المصطفى ﷺ، ربما لأول مرةٍ في التاريخ، وبإرادة الله تعالى تحول أهلها من الشرك إلى التوحيد، قبل أن يلحق المصطفى ﷺ بالرفيق الأعلى. والمعروف أن جزيرة العرب تشكّل وحدها زهاء سدس مساحة العالم الإسلامي(١) وقد نعت الله تعالى رسوله في محكم كتابه بالخلق العظيم وذلك في قوله عزّ من قائل(٢): ﴿**وإنك لعلي خلق عظيم**﴾ وحينما سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن خلقه ﷺ قالت: كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه(٣) وقال عليه الصلاة والسلام: بعثت لأتمم مكارم الأخلاق(٤) وكان للمؤمنين أسوةٌ حسنةٌ في المصطفى ﷺ وقد قال تعالى(٥): ﴿**لقد كان لكم في رسول الله أسوةٌ حسنةٌ لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً**﴾ وقد استمسك السلف الصالح بوصية المصطفى ﷺ بقوله مخاطباً المؤمنين في حجة الوداع: «**وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً، أمراً بيناً، كتاب الله وسنة نبيه**»(٦) ﷺ.

إن هذه الأخلاق الإسلامية العظيمة تحلّى بها كلُّ من المجاهدين الفاتحين والدعاة المبلّغين. وقد عرفنا أن زهاء ثلثي العالم الإسلامي لم يصلها جندي مجاهد واحد، إنما الذي وصلها الدعاة إلى الله تعالى الذين طبقوا في دعوتهم أمره جلّ وعلا لهم في القول في سورة النحل(٧):

---

(١) الإسلام الفاتح ٣.
(٢) سورة القلم آية ٤.
(٣) نور اليقين ٣٠٩.
(٤) نور اليقين ٣٠٩.
(٥) سورة الأحزاب ٢١.
(٦) السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٢٥١.
(٧) الآية ١٢٥.

﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن. إن ربك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ وإن المجاهدين في سبيل الله تعالى، رهبان الليل وفرسان النّار، وإنّ الدعاة إلى الله تعالى المخلصين الربّانيين، كانوا جميعاً يتمثلون معنى قوله تعالى خطاباً للمؤمنين في سورة النور[1]: **﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً. يعبدونني لا يشركون بي شيئاً. ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾**.

وإليك بعض الشهادات في المجاهدين والدعاة من بعض العظماء من مفكري الإسلام. يقول الإمام الشهيد حسن البنا[2]: «والتاريخ يحدثنا عن أصحاب رسول الله ﷺ أنهم فتحوا البلاد بأخلاقهم وحسن معاملتهم قبل ان يفتحوها بسيوفهم وعدّتهم وعددهم. فلا يتصور أنّ عدداً قليلاً من هؤلاء العرب يثلّ عرش كسرى ويدكّ ملك قيصر ويرث هذه الإمبراطوريات الضخمة في هذا العدد من السنين بمجرد القوة. ولا يعقل أن ثمانية آلاف جندي يفتحون إقليماً شاسعاً كمصر وينشرون فيها دينهم ولغتهم وآدابهم وثقافتهم وعقيدتهم بالإكراه والجبروت، ولكن بحسن الأُحْدوثة وجميل العمل» ويقول أبو الأعلى المودودي[3]: «ومن النماذج الرائعة في السمو الخلقي الذي عرضته الجنود الإسلامية

٥

(١) الآية ٥٥.
(٢) السلام في الإسلام ٧٤، والمعروف أن اللغة القبطية لم تتلاشَ تماماً إلا في القرن السادس الهجري، العربية يوهان فك ٢٢.
(٣) الإسلام اليوم ١٧.

على الدنيا أنها كانت تدخل مـدينة تفتحها، وتجوب في شوارعها، ونساء هذه المدينة واقفات في الشرفات في أبهى ثياب التبرج والإغراء يتطلعن إلى المواكب، ولم يحاول جنديٌ من هؤلاء الجنود البواسل أن يرفع رأسه وينظر إليهن ولو بنظرةٍ عابرة. تقطع المواكـب الشوارع بدون أن تعلم ما إذا كان هناك من النساء يطلعن عليها من الشرفـات الأمر الذي كان يختلف تماماً عمّا جربتـه تلك الأمم المغلوبة من ويلات الغـزاة فيما خلت من القرون، وماتناقله الناس من القصص والحكـايات عن الأمم الغازية. إذ كان من السّنّة المتبعة أنـه كلما وطيء الغزاة أرض قوم عاثوا فيهـا فساداً، ولم يتركوا عـرض امـرأةٍ منهم إلا وانتهكـوا وارتكبـوا معهـا الفظـائع. فبعـد هـذه المواقف الفذة مع أهالي البلاد المفتـوحة كيف كان من الممكن ألا تكسب الجيوش الإسلامية قلوبها، الجيوش التي تكتسح المناطق بدون أن تنتهك حرمة أو تمس بكرامة أحـد» ويقول رحمه الله تعالى رحمة واسعة[1] : «ومن الحقيقـة التي لا يكابـر فيهـا أحد أن الـذي حققتـه أخـلاقهم الساميـة وسلوكهـم النزيه مـن المعجزات لا يقـارن بما أنجزته سيـوفهم. . . ولهذا السبب نفســه نرى أن الأقطار التـي فتحوهـا لم يكتف سكانها بـالخضوع لقـوتهم السيـاسية بل أصبحـوا من المولعين بهم والمريـدين لهم: اعتنقـوا دينهم، واتّبعـوا حضـارتهم، وارتضـوا لغتهـم. وهـا هي الأقطـار التي فتحها المسلمـون الأوائل مازال سكـانها يعتبرونهم، على مدار التـاريخ، أبطالهم وروادهم، ولايحبون أن يرجعـوا بأواصرهـم إلى أسلافهـم الكافرين أو ينسبــوا إليهم مـــاضيهم، فهل لسيفٍ أن يحقـق هــذه المعجــزة في العالم؟».

---

(١) الإسلام اليوم ١٩ .

ويحضرني شخصياً واحدٌ من الأدلة الكثيرة على عمق الود لأولئك الفاتحين وعظيم الامتنان لهم. كنت في صيف سنة ١٣٨٣هـ في باكستان في كراتشي، وقد التقيت بكثيرٍ من الإخوة في الإسلام الذين لا أستطيع أن أقدّر عظيم حبهم لنا نحن العرب، لدرجة أن سكان القرى إذا علموا بأنّ شخصاً من بلاد الحرمين زار قريتهم لا يسمحون له بالمغادرة بحالٍ من الأحوال قبل ان يستضيفوه ثلاثة أيامٍ بلياليها. وفي أحد الأيام أخذنا فريقٌ من هؤلاء الأحباب إلى مكانٍ خارجٍ مدينة كراتشي يوجد به معلم تاريخي سامق البنيان وأخبرونا بكل فخرٍ واعتزاز بأن هذا المعلم التاريخي يشير إلى المكان الذي وطئته أولاً أقدام القائد العربي المسلم محمد بن القاسم الثقفي وصحبه الكرام من المجاهدين في سبيل الله تعالى الأبطال. لقد ولد محمد بن القاسم سنة ٢٦هـ - ٦٨١م وتوفي نحو سنة ٩٨هـ ٧١٧م بمعنى أنه عاش ستاً وثلاثين سنة فقط، وهو الذي عناه حمزة بن بيض الحنفي بقوله:

قاد الجيوش لسبع عشرة حجّة[1]

إن الذكر العاطر لهذا القائد المظفر والمجاهد الأمجد يأتي بعد زهاء ألف وثلاثمائة سنة من وفاته رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً وسيستمر بإذن الله تعالى إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها.

وعن هؤلاء الدعاة الذين عُنوا بتزكية النفس وتهذيب الأخلاق يقول العلامة أبوالحسن الندوي[2]: «فانتشر بهم الدين الحنيف في أنحاء العالم البعيدة، ودخل الناس في دين الله أفواجاً. وكان لهم فضلٌ في انتشار

(١) الأعلام ٦/ ٣٣٣.

(٢) النبي الخاتم ٦١.

الإسلام في شبه القارة الهندية، وخاصة في المناطق التي لم يغزها جيش إسلامي ككشمير وبنغال الشرقية وفي جزر المحيط الهندي وقارة أفريقيّا»
ويقول[1]: «إن كلمات العدل والمساواة والإنسانية منتشرة ذائعة اليوم في كل ناحية من نواحي الهند، وبارزة على كل صفحة من صفحات أدبائها وكتابها، وخفيفة على لسان كل خطيب ومتكلم. ومن ذا يكابر في أن الإسلام هو الذي عرّف هذه الكلمات إلى أهل هذه البلاد وسعى في رواجها وذيوعها في بلادٍ لم تكن تعرف هذه الكلمات ومعانيها».

ويقول العلامة الدكتور حسين مؤنس[2]: «وفي بلاد المغرب أسلمت قبائل البربر مبهورةً بما رأت من روعة إيمان عُقبة بن نافع وأصحابه، فهذا الرجل الفريد في بابه، الذي وهب نفسه للإسلام، كان يلقى رئيس القبيلة ويحدثه ثم يدعوه إلى الإسلام فيسارع إلى الإيمان ليكون من قوم عقبة، ثم يتبعه بعد ذلك قومه» وبشأن انتشار الإسلام في أفريقيّا يقول[3]: «اخترق الإسلام مائتي كيلومتر من الغابات الاستوائية التي لايخترقها أحدٌ إلا بمشقّة» ويقول عن الكلمة الطيبة: إنما هي[4] «التي فتحت مغاليق القلوب ونقلت إلى الإسلام أقواماً كان الغرب يقول إلى حينٍ قريبٍ إنهم ليسوا من البشر» وبعد إشادته بأدوار بعض الشعوب الأفريقية في المحافظة على الإسلام ونشره يقول[5]: «فهذه أربعة شعوب مباركة دخلت الإسلام سلماً دون حرب، وأقامت دولاً وحضارات وحافظت على الدين في بلادها ونشرته في فجاج أفريقيّة المدارية والاستوائية» ويقول[6]: «ففي الأندلس كان أهل البلاد يجدون في العربي

(١) إلى الإسلام من جديد ٢٩ .
(٢) الإسلام الفاتح ١٦ .
(٣) الإسلام الفاتح ١٧ .
(٤) الإسلام الفاتح ٨٤ .
(٥) الإسلام الفاتح ١٦٥ .
(٦) الإسلام الفاتح ١٨٨ .

عشيراً حسناً وصديقاً ودوداً» ويقول[1] : «ولا حاجة بنا إلى الكلام على ما كان من تقارب وتآخٍ بين العرب الأُوَل وأهل البلاد حتى إن رجال القبائل كانوا يتنافسون على العرب . فتجتهد كل قبيلة في أن ينزل بها عربي ، فيبدأ معلّماً لأفرادها وينتهي رئيساً لها ، ويتزوج منها ويسرع بإسلامها ، وخاصة إذا كان آل البيت العربي من آل إدريس بن عبدالله ابن الحسن بن الحسن بن على بن أبي طالب وأخيه سليمان» وبشأن نشاط مصر بلد الأزهر الشريف في نشر الإسلام في السودان يقول[2] : «خلال تلك الفترة الطويلة عمل المصريون على نشر الإسلام وإرسال الشيوخ وإنشاء المعاهد الدينية والمدارس في كل بلاد السودان مما ربط شعوب السودان النيلي بعضها ببعض وجعلها شعباً سودانياً واحداً لغته العربية وديانته الإسلام . وهذا أعظم كسب حقّقه الإسلام والعروبة في إفريقيّة منذ قرون طويلة . فقد أصبح أكبر أقطار القارة الإفريقية وهو السودان بلداً إسلامياً يتّصل بعددٍ كبير جداً من البلاد الإفريقية ويفتح أبوابها للإسلام» .

وإذا كان السودان أكبر بلدٍ إسلامي من حيث المساحة في إفريقيّة ، فإنه ينبغي علينا ، وقد عملنا هذه الدراسة من أجل الندوة العالمية للقرآن الكريم التي تعقد في كوالالمبور عاصمة ماليزيا ، ينبغي علينا أن نشير إلى أكبر البلاد الإسلامية على الإطلاق ، ألا وهو أندونيسيا البلد المجاور، إن أندونيسيا : «أكبر بلد إسلامي على الأرض وأعمرها بالمسلمين»[3] وأندونيسيا من البلاد التي فتحها دين الإسلام بذاته عن

(١) الإسلام الفاتح ١٨٩ .
(٢) الإسلام الفاتح ٢١١ .
(٣) الإسلام الفاتح ٥٣ .

طريق الـدعاة المخلصين، شأنها في ذلك شأن كل البـلاد المجاورة. وفي العام المنصرم حينما كنت في زيارة لأندونيسيا وزرت فيها العديد من كبار الجزر سمعت الكثير عن تضحيـات الدعـاة إلى الإسلام من أبنـاء أولئك الـدعاة وأحفـادهم، ومن هؤلاء الـدعـاة من كان يجوب البـلاد بواسطـة دراجته الهوائية بائعاً داعيـاً . إن الأرض حينما تسهل وتلين يركب الداعية دراجتـه. وحينما تصعب وتقسـو بسبب حـاجـزٍ مـائي أو جبلي يحملهـا الداعية على ظهره. وهكذا دَوالَيْك. ومن ألطـف ماقاله لي هذا الابن[1] عن أبيه الداعية إلى الله تعـالى: إن أباه حذق بعض الألعاب التي تجذب الصغار والكبـار على حد سواء، وكـان قد اقتبسهـا من بعض الجاليات الموجودة هنالك. فقـرر تسخير مواهبه من بين وسائلـه في الدعوة إلى الله تعالى. وكـي يستميل المشاهديـن للدخول في الإسـلام أعلن أن على من يريـد أن يشاهد هـذه الألعاب الممتعة أن يـدفع قيمة التـذكرة. وليست تلك القيمة مـالاً أو عرضـاً من أعراض الـدنيا. إن قيمـة التذكـرة كلمة واحدة هي كلمـة التوحيـد، شهادة ألاّ إله إلاّ الله وأنّ محمـداً رسول الله! رحم الله تعالى الداعية الشيخ عبدالله باسلامه رحمةً واسعة وأسكنه فسيح جناته وهو وسائر الدعـاة والمخلصين في خدمة هذا الدين الحنيف ونشره في الخافقين. آمين .

ومادمنا نتحدث عن الدعاة إلى الله تعالى وأعمالهم الصادقة في صمت لنشر الإسلام وعن هذا السلف الصالح الأسـوة الحسنة لنا فإنا نود أن نشير إلى نتيجـة حـاسمةٍ للـدعـاة إلى الله تعـالى في القـرن الرابع الهجـري الـذي تقاعس فيه المسلمون عن الجهاد في سبيل الله تعـالى فعاثت الدولة البيزنطية

---

(١) هو الدّكتور عبدالرّحمن عبدالله باسلامة مدير جامعة المسلمين الأندونيسيّة يوجَنْق بانْدَنْق .

دولة الروم منذ منتصف القرن الرابع الهجري فساداً في ديار الإسلام وجاست خلال الديار واستولت على جميع الثغور الإسلامية في بلاد الشام والجزيرة وأرمينيّة[١] أمّا هذه النتيجة الحاسمة فإنها من معاني قول الحق جلّ وعلا[٢] : ﴿وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ فقد ذكر المؤرخون في حوادث سنة ٣٤٩هـ ما نصّه : وفيها أسلم من الأتراك نحو مائتي ألف خركاه . والخركاه معناها الخيمة . وكانت كل خيمة تضم أسرة واحدة على الأقل ، أي نحو مليون نسمة . وهذا يعني أن سنة ٣٤٩هـ سنة فاصلة في اعتناق الأمة التركية للإسلام[٣] ولا تسل عن دحر هؤلاء المسلمين جحافل الصليبيين ، فقد تكسرت في ديارهم الكثير من هذه الموجات الصليبية ، وما أعظم الأعمال البطولية التي قام بها المجاهد المسلم كمشتكين بن دانشمند بطل الانتصارات الأولى على الصليبيين الذي قهر بطل الحملة الصليبية الأولى بوهمند النورماني وأخذه أسيراً ذليلاً حقيراً إلى عاصمته[٤] وقضى على ثلاث حملات صليبية كبرى[٥] سنة ٤٩٤هـ/ ١١٠١م[٦] وأصبح اسمه كفيلاً بإثارة الرعب في نفوس سائر الصليبيين بسبب ما أحرزه عليهم من انتصارات ضخمة[٧] .

ومادمنا وصلنا إلى القرن الرابع الهجري وجهود الدعاة إلى الله تعالى التي آتت أكلها في هيئة اعتناق شعوبٍ بكاملها عقيدة التوحيد دون أن نعرف شيئاً عن أولئك الدعاة الذين عملوا في صمتٍ وآثروا الآجلة على العاجلة فإنا لانستطيع أن نُغْفِلَ عملاً رائعاً لهؤلاء الدعاة في صمت

---

(١) المجاهد المسلم كمشتكين بن دانشمند د . على محمد عودة الغامدي ٨ .
(٢) سورة محمد آية ٣٨ . (٣) المجاهد المسلم كمشتكين بن دانشمند ٩ .
(٤) المجاهد المسلم كمشتكين بن دانشمند ١٠ ، و٦٧ . (٥) المجاهد المسلم ١١ ، ٦٧ .
(٦) المجاهد المسلم ٦٩ ، ويلاحظ أن سقوط القدس في يد الصليبيين سنة ٤٩٢هـ ، ١٠٩٩م .
(٧) المجاهد المسلم ٧٠ .

تـرتّب عليـه اعتنـاق أول سلطـان من سـلاطين المغـول في روسيـا لـدين الإسلام وتسمى باسم الملك السعيد بركـة خان وأخذ كل المغول التابعين لـه باعتنـاق هـذا الدين، واجتهـد في تعـويض الإسلام عما لحق بـه من الأذى على أيدي أجداده، بـالقضاء على الخلافة العباسيـة في بغداد سنة ٦٥٦/ ١٢١٨م[١] ومن الـواضح أن الحديث في هـذا الجانب ضروري وذلك في ظل التطـورات المذهلـة التي حـدثت هـذه الأيـام في الاتحاد السـوفيتي مما نجم عنـه انهيـار الشيـوعيـة في لحظـات بعـد ان خنقت الأديان، وبخاصة الإسـلام، سبعين سنة. وأبادر إلى تسجيل مظهرٍ من المظـاهر المبهجـة للصّحـوة الإسلاميـة في تلك الديـار الإسـلامية وهـذا المظهر المبهج نعيشه هذه الأيام في مكـة المكرمة التي تقيم فيها وزارة الحج والأوقاف بالمملكـة العربية السعودية الاحتفال الـدَّوْليّ الرابع عشر لتلاوة القـرآن الكريم وتجويـده وتفسيره والذي اشترك فيـه لأول مرة شبـاب من تلك البـلاد بعد ان دمـرّ الله تعالى تـدميراً الحصار الشيـوعي والكابـوس عدوّ الـدين اللّدود الذي استمـر جاثماً سبعين سنة، ولله الحمـد والمنة. واللطيف أن من هذا الشباب من اشترك في أرفع فروع المسابقة، في حفظ القرآن الكريم كاملاً وفي التفسير.

وهذا يقتضينا أن نسجل بإيجاز أهم خطـوات انتشار الإسلام في تلك الأصقاع كي نكون على بيّنة نحن المسلمين من جهاد السلف الصالح بالسنان وباللسان.

انتشر الإسـلام لأول مـرة في أذربيجان وداغستـان. وكـان ذلك في أوائل القـرن السـابع الميـلادي أيام الخليفـة عمـر بن الخطـاب رضي الله عنه[٢] ثـاني الخلفاء الـراشـدين وعمـر رضي الله عنه ولـد سنـة ٤٠ قبل الهجرة الموافق ٥٨٤م وتوفي سنة ٢٣ هجرية الموافق ٦٤٤م[٣].

(١) الإسلام الفاتح ٧٦. (٢) الإسلام والمسلمون في البلاد السوفييتية المفتي ضياء الدين خان ١١.
(٣) الأعلام للزركلي ٥/ ٤٥.

وفي عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه الذي ولد سنة ٢٠ قبل الهجرة الموافق سنة ٦٠٣م وتوفّي سنة ٦٠هـ الموافق سنة ٦٨٠م[١] وبقيادة سعيد بن عثمان رضي الله عنه ابن عفان المتوفي بالمدينة نحو سنة ٦٢هـ الموافق ٦٨٢م[٢] وصل الإسلام إلى آسيا الوسطى التي كانت تسمى آنذاك ببلاد ماوراء النهر. وكانت هذه البلاد تشمل مدن سمرقند وبخارى (بلد الإمام البخاري) وشاش وترمذ ونسف وكشّ وخوارزم ومرو وخجند وبالاصاغون وأوزكند ونَساء وغيرها[٣] وقد أرسل خلفاء بني أمية إلى هذه الديار من يقوم بنشر العقيدة الإسلامية وتدريس القرآن واللغة العربية[٤] .

وفي عهد الخليفة عبدالملك بن مران الذي ولد سنة ٢٦هـ الموافق ٦٤٦م والمتوفّي سنة ٨٦هـ الموافق ٧٠٥م[٥] تمّ إرسال قتيبة بن مسلم المولود سنة ٤٩هـ الموافق ٦٦٩م والمتوفّي سنة ٩٦هـ الموافق ٧١٥م[٦] إلى آسيا الوسطى ووصل إلى الصّين ثم عاد[٧] وتوفّي قتيبة في مدينة مارغيلان التي أنجبت كثيراً من العلماء البارزين في العالم الإسلامي[٨] .

وفي عهد الخليفة العباسي المقتدر بالله وهو جعفر بن أحمد بن طلحة أبوالفضل المولود سنة ٢٨٢هـ الموافق ٨٩٥م والمتوفّي سنة ٣٢٠هـ الموافق ٩٣٢م[٩] أرسل ملك البولقار صلطيفار ابن شيلكي بعثته إلى الخليفة العباسي يرجوه أن يرسل إليه من يلقّنه الدين الإسلامي ويعلمه قوانين الإسلام. ووعد الملك بأنّ ذلك لو تمّ فإن الملك سيبني للقادم

(١) الأعلام ٧/ ٢٦١ .
(٢) الأعلام ٣/ ٩٨ .
(٣) الإسلام والمسلمون في البلاد السوفييتية ١٢ .
(٤) الإسلام والمسلمون في البلاد السوفييتية ١٢ .
(٥) الأعلام ٤/ ١٦٥ .
(٦) الأعلام ٥/ ١٨٩ .
(٧) الإسلام والمسلمون في البلاد السوفييتية ١٢ .
(٨) الإسلام والمسلمون في البلاد السوفييتية ١٢ .
(٩) الأعلام ٢/ ١٢١ .

مسجداً ويقيم له المحراب لكي يلقي خطبة الخليفة في بلده وكافة أصقاع دولته[1] وفي عام ٣٠٩هـ الموافق ٩٢١م قدمت بعثة الخليفة إلى بلاد البولقار وكان على رأسها سوسان الراسبي، وذلك بعد ان قطعت مسافات طويلة واستقبلت بحفاوة بالغة على امتداد مسيرة يوم وليلة من قصر الملك[2].

وفي يوم الخميس في شهر أيّار (مايو) عام ٩٢٢م جرت مراسم اعتناق الإسلام في أكبر حشد جماهيري. وأقيمت في اليوم التالي أولى الشعائر الدينية، وأعلن الإمام عن قرار ملك البولقار بتغيير اسمه باسم إسلامي جديد، حيث سمي نفسه بجعفر بن عبدالله[3] وابتداءً من اليوم السادس عشر من شهر محرم عام ٣١٠ هجرية المصادف ٩٢٢م ساعد اعتناق جعفر وجماعته الدين الإسلامي على انتشار الإسلام وتقويته بين البولقار. ولم يمض ٥٠ – ٦٠ عاماً على ذلك التاريخ حتى اعتنق جميع البولقار الإسلام، وظهر آنذاك بتأثيرهم الإسلام بين الشعوب المجاورة، عند التشوفاشيين والماريّين والبشكير. وفي ذلك القرن بالذات انتقلت مجموعة من الشعوب المجاورة إلى الإسلام أيضاً[4].

وهكذا نكون أمام عجيبة من عجائب هذا الدّين بفضل الله تعالى الذي رضي لعباده دين الإسلام الذي بعث به محمداً ﷺ ثم بفضل إخلاص الدعاة إلى الله تعالى حينما نتبين ان المسلمين ينهزمون عسكريّاً وينتصر الإسلام. كلّنا على علم كيف قهر التتر- ذلك الجراد المنتشر- العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه، وخضدوا شوكة المسلمين، فلم

---

(١) الإسلام والمسلمون في البلاد السوفيتية ١٥ .
(٢) الإسلام والمسلمون في البلاد السوفييتية ١٦ ، والإسلام الفاتح ٧٧ .
(٣) الإسلام والمسلمون في البلاد السوفييتية ١٦ .
(٤) الإسلام والمسلمون في البلاد السوفييتية ١٦ .

تقـــم لهم قائمة، ولم يقف في وجههم واقف، وكاد المسلمون يصبحون أثـراً بعــد عين، واستـولى اليأس على قلــوبهم حتى كـان مـن الأمثـال السائرة: إذا قيـل لك إن التتر انهزموا فـلا تصدّق[1] وقضوا على الخلافـة العبـاسيـة في بغداد سنـة ٦٥٦هـ ــ ١٢١٨م[2] هنـالك فعلت الـدعـوة الإسـلاميـة فعلهـا، ونفـذت فيهم. فإذا القـاهـر يصبح مقهـوراً، وإذا الفـاتح مفتوح لـدين المفتـوحين، وإذا التتر يتلفظـون بكلمة الإسـلام، ويدينون برسالة محمد عليـه الصلاة والسلام، ويصبحون أمّة إسلامية[3] وكـان ذلك بعـد مرور أقل مـن خمسين سنة على مجيئهم إلى بـلاد مـاوراء النهر[4] وأول من هداه الله منهم بركات خان (١٢٥٧-١٢٦٦) صاحب القلعـة الـذّهبيّـة[5] وذلك في النصف الثـاني مـن القـرن الثـالث عشر الميلادي[6] وقد تسمى بـاسم الملك السعيد بـركة خان وأخـذ كل المغول التابعين له باعتناق هذا الـدين، واجتهد في تعويض الإسلام عما لحق به من الأذى على أيـدي أجداده فاهتـمّ بإنشاء المسـاجد واستقـدام الفقهاء والإحسان إليهم وتيسير مهمّتهم في نشر الدين[7].

(١) إلى الإسلام من جديد لأبي الحسن الندوي ١٨.
(٢) الإسلام الفاتح ٧٦.
(٣) إلى الإسلام من جديد ١٨.
(٤) الإسلام والمسلمون في البلاد السوفييتية ١٨.
(٥) الإسلام والمسلمون في البلاد السوفييتية ١٨، والإسلام الفاتح ٧٦.
(٦) الإسلام والمسلمون في البلاد السوفييتية ١٨.
(٧) الإسلام الفاتح ٧٦.

٤- أسوة حسنة في مجال العلم :

ليس ثمة دينٌ حث على العلم كما فعل الإسلام. إن أول مانزل على المصطفى ﷺ من القرآن الكريم ذو علاقةٍ بالقراءة والعلم والقلم. قال تعالى[١] : ﴿**اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علّم بالقلم. علّم الإنسان مالم يعلم**﴾ وإن أول قسمٍ في القرآن الكريم بالقلم. قال تعالى[٢] : ﴿**ن. والقلم ومايسطرون**﴾ وإن لفظة «العلم» والمشتقات من الأصل اللغوي: «علم» تجيء في القرآن الكريم أكثر من ثمانمائة مرة[٣] وما أكثر الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التي حثت على العلم ورفعت من شأنه وشأن العلماء. قال تعالى[٤] : ﴿**قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون. إنما يتذكر أولو الألباب**﴾ وقال تعالى[٥] ﴿**يَرْفَعِ الله الذين آمنوا منكم والذين أوتو العلم درجات**﴾ وقال تعالى[٦] ﴿**إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ**﴾ وقال النبي ﷺ : «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**»[٧] وقال النبي ﷺ «**لا حسد إلا في اثنتين، رجل آتاه الله مالاً فَسُلِّط على هَلَكَتِهِ في الحقّ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلّمها**»[٨].

---

(١) سورة العلق ١-٥، وانظر: الإسلام والمستقبل د. عبدالعزيز كامل ٣٩، و٤٣.
(٢) سورة القلم ١.
(٣) انظر في: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم أعداد هذه الألفاظ.
(٤) سورة الزمر ٩.
(٥) سورة المجادلة ١١.
(٦) سورة فاطر ٢٨.
(٧) صحيح البخاري ١/ ٢٧.
(٨) صحيح البخاري ١/ ٢٨.

وفي الإمكان أن ننظر إلى المدّ الإسلامي من ثلاث جهات أو ثلاث موجات، منها ماحصل له الوقوف والانتهاء، ومنها ماحصل له الانحسار، ومنها ماحصل له الاستمرار والاتّساع .

أمّا ماحصل له الوقوف والانتهاء فالمد العسكري . وهذه نتيجة حتمية لكل جيشٍ زاحف، وقد عرفنا أنّ المدّ العسكري الإسلامي ليس له نظير في السرعة وفي عمق الأثر لأن المجاهدين المسلمين رهبان الليل فرسان النهار .

وأمّا ماحصل له الانحسار فاللغة العربية منطوقة أوّلاً مكتوبة آخِراً .

وأمّا ماحصل له الاستمرار والاتساع فالمدّ الإسلامي ذاته، وقد عرفنا أنّ الإسلام وهو الدين الطيار قد فتح بنفسه بواسطة الدّعاة إلى الله تعالى أضعاف مافتحت الجيوش الإسلامية، وقد اقترن بالمدّ الإسلامي المدّ الفقهي .

وإن هذا القول الموجز بحاجةٍ إلى شيءٍ من بسط القول :

بما أن الفتح الإسلامي فتحٌ حضاريٌّ في الحقيقة وليس فتحاً عسكرّياً . والدليل على أنّ الجيوش الإسلامية قاتلت الحكومات المنحرفة عن سواء السبيل أنها لم تجد مقاومة من الجماهير مطلقاً[1] بدليل أن المسلمين فتحوا إسبانيا والبرتغال في أقل من عامين اثنين[2] وها هو ذا الوطني الإسباني الغيور والكاتب المشهور المعاصر بلاسكوا أبانيز، مشيداً في حماسٍ بمسجد المسلمين في الأندلس يقول في أهمّ مصَنّفاته وهي «ظلال الكنيسة» : «لقد أحسنت إسبانيا استقبال أولئك الرجال الذين

(١) الإسلام والمسلمون في البلاد السوفييتية ١٥ .

(٢) أثر العرب في الحضارة الأوربية ١١٦ .

قدموا إليها من القارة الافريقية، وأسلمتهم القرى أزمتها بغير مقاومة ولا عداء. فما هو إلا أن تقترب كوكبة من فرسان العرب من إحدى القرى حتى تفتح لها الأبواب وتتلقّاها بالترحاب. وكانت غزوة تمدين ولم تكن غزوة فتحٍ وتدويخ»[1] وبشأن الانسجام والتآلف بين الأجناس والأديان لايجد لنهضة الأندلس آنذاك شبيهاً إلا في الولايات المتحدة اليوم يقول[2]: «كان سكّان إسبانيا يزدادون فيزيدون على ثلاثين مليوناً تنسجم بينهم جميع العناصر البشريّة والعقائد الدينيّة. وخفق قلب الحياة الاجتماعية بأقوى نبضاته التي عرفها تاريخ الجماعات البشريّة، فلا نرى لها قريناً نقابله به غير مانجده في الولايات المتحدة الأمريكية من تنوّع الأجناس واتّصال الحركة والنّشاط».

وإنّما اخترنا الأندلس بالذات للحديث عنها لأنها أهم المناطق النّائية التي خسرها المسلمون بفعل التعصب الأعمى المقيت والتي خسرها أيضاً أولئك الذين طردوا الإسلام والمسلمين منها وقد قال أبوالحسن الندوي[3]: «وهل إسبانيا الحاضرة إلا مدنيةٌ بلا روح، وحياةٌ بلا مبدأ، وأمّةٌ بغير رسالة للعالم!». وتقول هونكة: «والحقيقة أنه بخروج المسلمين من الأندلس عام ١٤٩٢م انتهى عهد السماحة إلى الأبد»[4].

واللّطيف أنّ المؤلف الإسباني يشبّه الأندلس المسلمة المتسامحة بالولايات المتحدة الأمريكية اليوم. لقد كانت كلمة الإسلام والمسلمين

---

(١) أثر العرب في الحضارة الأوروبية ١١٦ .
(٢) أثر العرب في الحضارة الأوروبية ١١٧ .
(٣) إلى الإسلام من جديد ٢٢ .
(٤) مجلة المنهل العدد ٤٩٤ ص ١٣٥ .

آنذاك هي العليا .

لقد كـان المجاهدون المسلمـون رهبان الليل حقـاً وقد كانـوا صورةً صـادقةً لتعـاليم الإسـلام كما بينّهـا القرآن الكـريم وسنـة المصطفى ﷺ والسلف الصـالح وكانت أسـوتهم الحسنة متمثلـة في شخص المصطفى ﷺ الذي قـال الله تعالى عنه في محكم كتـابه[1] **﴿لقد كـان لكم في رسول الله أسوةٌ حسنةٌ لمن كـان يرجو الله واليوم الآخـر وذكر الله كثيراً﴾** ومن هنا كـانت الجيـوش الإسـلاميـة ذات صبغتين اثنتين عسكـريّـة وثقـافيّـة . ومعـروف أن الصبغة الثقـافيـة أطول عمـراً ، وأعمق أثـراً . وكان القـرآن الكريم وسنـة المصطفى ﷺ المحور الذي تـدور حوله الصّبغة الثقـافية . ولما كـان القرآن الكـريم قد نـزل بلسان عـربي مبين وكانت العـربية لغـة الحديث النبـوي الشريف فقد شـاء الله تعالى ألاّ يبعث رسـولاً إلا بلسان قومه كما قال تعالى[2] : **﴿وما أرسلنا من رسـولٍ إلا بلسان قومه ليبيّن لهم فيضلّ الله من يشـاء ويهدي من يشاء . وهـو العزيـز الحكيم﴾** لذا فقـد كانت اللغة العـربية هي لغة هذه الصّبغة الثقافيـة . بقي علينا أن نعرف أن المجاهدين المسلمين لم يخطر ببالهم أن يدرّسـوا إلا باللغة العربية . وقد سـاعـد التدريس باللغة العـربية على تعريب الأمصار من نـاحية ، وعلى قيام اللغة العربية لأوّل مرةٍ في التاريخ ، وربّما في تأريخ اللغات ، بالدور العالمي بنجاح منقطع النظير من ناحية أخرى .

ويـلـزمنـــا أن نقـرّر أن المجـاهـدين المسلمين لم يلجـأوا لحظـة من اللحظـات في سبيل هـذه الغـايـة إلى أي شيء من أسـاليب الترغيب أو الترهيب التي يلجأ إليها عادة الغزاة الفاتحون .

---

(١) سورة الأحزاب ٢١ .

(٢) سورة إبراهيم ٤ .

بل إن هذه الشعوب الكريمة التي انتهى إليها الإنقاذ الإسلامي رضيت سعيدةً قريرة العين أن تتخلى عن معتقداتها السابقة وحضاراتها وثقافاتها ولغاتها وأن تعتنق دين الإسلام وتحتضن لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف منطوقة ومكتوبة، وأن تسهم في بناء الحضارة الإسلامية المجيدة. إن هذه الشعوب الكريمة النبيلة التي فعلت ذلك حبّاً في الإسلام وأهله هي ذات الشعوب التي رفضت بإباء وشمم زهاء ألف عام قبل الإسلام أن تذوب في الفاتحين من فرسٍ ويونان ورومان. ولماذا نجح المسلمون وفشل غيرهم؟ لأن كل مسلم مجاهدٍ ينظر إلى أخيه الإنسان في ضوء مثل قوله تعالى[1]: **﴿يا أيّها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفسٍ واحدةٍ وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالاً ونساءً. واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام. إنّ الله كان عليكم رقيبا﴾**.

إن الإنسان أخو الإنسان من جهتين من جهة الرّب الواحد، ومن جهة الأب الواحد والأم الواحدة كذلك. إن أبانا آدم عليه السلام، وإن أمّنا حواء عليها السلام التي خلقها الله تعالى من ضلع من أضلاع آدم عليه السلام، من شقه الأيسر كما روي عن ابن عباس[2]. ومن الطبيعي أن يعطف الأخ على أخيه وأن يحرص على أعظم خيرٍ أن يصله بالدخول في دين الإسلام، ومن هنا كان كل جنديّ مسلم داعياً إلى الله تعالى من أجل أن يتحقق معنى قوله تعالى[3]: **﴿إنما المؤمنون إخوة﴾** ومعنى قوله تعالى[4]: **﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾** ومعنى قوله تعالى[5]: **﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً﴾**.

---

(١) سورة النساء ١. (٢) تفسير الطبري ٤/ ١٥٠. (٣) سورة الحجرات ١٠.
(٤) سورة التوبة ٣٣، والصف ٩. (٥) سورة الفتح ٢٨.

وقد عرفنا أن المسلمين إنّما حققوا هذا النجاح بسبب أخلاق الإسلام العظيمة التي تحلّى بها المجاهدون في سبيل الله تعالى. ولا يكاد ينتهي العجب حينما نتبين أن هذه الأخلاق العظيمة للمجاهدين المسلمين تجعل من أبناء البلاد المفتوحة جنوداً للفتح الإسلامي بل قوّاداً من أعظم القوّاد الذين عرفتهم الإنسانية. ومن يجهل القائد المسلم المظفّر طارق بن زياد فاتح الأندلس الذي كان من البربر المسلمين[1] والذي يردّد العالم كله اسمه مقروناً بالجبل العظيم في جنوب الأندلس «جبل طارق» والمطلّ على المضيق المسمى باسم: «مضيق جبل طارق» الذي يفصل بين المغرب والأندلس.

وإذا كانت أخلاق المسلمين الفاتحين قد جعلت من أبناء البلاد المفتوحة جنوداً يقاتلون في سبيل نشر كلمة التوحيد وقوّاداً يبذلون أرواحهم رخيصة في سبيل الله تعالى امتثالاً لقوله تعالى[2]: ﴿**إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، يقاتلون في سبيل الله فيَقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقّاً في التوراة والإنجيل والقرآن. ومن أوفى بعهده من الله. فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به. وذلك هو الفوز العظيم**﴾ فمن باب الأحرى والأولى ألاّ يبخل أبناء البلاد المفتوحة على الإسلام الذي اعتنقوه وعلى المسلمين الفاتحين بأسرارهم العلمية والعسكرية.

إن المسلمين الفاتحين ذوي الأخلاق العظيمة والنفوس الكبيرة ملكوا قلوب أصحاب البلاد المفتوحة الذين بادروا بدوافع من ذوات

(١) العسكرية العربية الإسلامية ٦٦.
(٢) سورة التوبة آية ١١١.

أنفسهم إلى الكشف عن أسرارهم العلمية والعسكرية لإخوانهم في العقيدة الفاتحين، وشمّروا عن ساعد الجد في سبيل بناء صرح الحضارة الإسلامية المجيدة التي حلّقت بجناحين من الرّوح واللسان. أمّا الرّوح فإنها روح الإسلام كما يبيّنها القرآن الكريم وسنة المصطفى ﷺ. وأما اللسان فإنه العربي المبين الذي نزل به القرآن الكريم وبيّن به النبي الكريم آي الذكر الحكيم. ومن أعجب ما يصادفنا في هذا المجال الأخبار المتواترة من أنّ عناية غير العرب في بعض البيئات باللغة العربية تفوق عناية العرب بلغتهم. وها هو ذا المقدسي، أبوعبدالله محمد بن أحمد في كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم يذهب إلى أن أصحّ العربية يُتكلم بها في المشرق، أي في الإقليم اللغوي الفارسي، لأنهم يتكلّفونها تكلّفاً، ويتعلمونها تلقُّفاً[1].

وينبغي أن نشير إلى صفةٍ من أهمّ الصفات التي جسّدها المسلمون الفاتحون في تحويلهم الأخلاق الإسلامية النظرية إلى عمل وواقع وهي أن من أهم ما هتموا به بعد الحرص على القضاء على رذائل البلاد المفتوحة أن يعملوا جاهدين على تفجير طاقات أبنائها وعبقرياتهم. وقد كانت هذه الصفة المترجمة والأخوّة الإيمانية والأخوّة الإسلامية كما بينّها القرآن الكريم وسنة المصطفى ﷺ من أهم الأسباب التي جعلت الحضارة الإسلامية تقفز درجات سلمها الرفيع قفزاً وتصل إلى قمتها الرفيعة السّنا والسّناء خلال ثمانين سنة فقط[2] بينما احتاجت الحضارة الرومانية ألف سنة كي تصل إلى قمتها المحدودة الارتفاع بالقياس إلى قمة الحضارة الإسلامية[3] هذا إلى أنّ الحضارة الإسلامية لم

---

(١) العربية، يوهان فك ١٩٢، وانظر: ١٦٩.
(٢) الإسلام على مفترق الطرق ٣٦.
(٣) الإسلام على مفترق الطرق ٣٦.

تختف من الوجود حتى يوم الناس هذا وإن كـانت قد تدحرجت عن قمتها التي تسنّمتها عدة قرون[1] بينما انهارت الحضارة الرومانيـة خلال مائة سنةٍ فقط[2] وكما كـانت الأخوّة الإسـلامية سببـاً في وصول الحضـارة الإسلاميـة قمتها في سرعة البرق كـانت سبباً في قيام اللغة العربية، لغـة القرآن الكريـم والحديث النبوي الشريـف، منطوقة ومكتـوبة، لأول مـرة بالـدور العالمي بنجاح منقطع النظير. إن الدولة الإسلاميـة إذا كانت قد امتدت من الصين شرقاً إلى فرنسا غرباً فإن اللغة العـربية، لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف هي لغتهـا، وإن الكتـابـة التي حملت القـرآن الكـريم والحديث النبوي الشريف هي الوُعاء الذي حمل هذه الحضارة.

ثم أنت - بـالتأكيد - على علمٍ بأصحّ الكتب بعـد القرآن الكـريم بإجماع الأمّـة. إنـه صحيح الإمام البخـاري ١٩٤ - ٢٥٦هـ. ٨١٠ - ٨٧٠م حبر الإسلام[3] وهو أبـوعبدالله محمد بن إسماعيـل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبـة، ومعناه بالعـربية الـزّارع، وكان مجوسيّاً مـات عليها. وابنه المغيرة أسلم على يد اليمان البخـاري الجُعفي والي بخاري. وإنما قيل للبخاري جعفي لأنه مـولى يمان الجعفي ولاء إسلام[4] وقد صنف الإمام البخـاري كتـاب الصحيح لست عشرة سنــة وخـرّجـه من ستمائة ألف حديث[5] وجملـة ما في صحيح البخـاري من الأحـاديث المسندة سبعـة آلاف ومـائتان وخمسـة وسبعـون حديثـاً بـالأحـاديث المكرّرة، وبحـذف

(١) الإسلام على مفترق الطرق ٣٧.
(٢) الإسلام على مفترق الطرق ٣٦.
(٣) الأعلام ٦/ ٣٤، وتهذيب الأسماء واللغات للإمام النووي ١/ ٦٧.
(٤) تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٦٧.
(٥) تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٧٤.

المكررة نحـو أربعة آلاف [١] واتفق العلماء على أنّ أصحّ الكتب المصنفـة (في الحديث) صحيحـــا البخـــاري ومسلم، واتفـق الجمهـــور على أن صحيح البخـاري أصحهما صحيحـاً وأكثرهما فـوائد[٢] وروي عنه أنـه قال: رأيت النبي ﷺ في المنام وكأني واقف بين يديـه وبيدي مروحة أذبّ عنه فسألت بعض المعبّرين فقـال: أنت تذب عنه الكذب، فهـو الذي حملني على إخراج الصحيح[٣].

ونحن في غنىً عن القـول إن بخارى، بضم البـاء، من أعظم مدن مـاوراء النهر وأجّلها[٤] وإنها تقع فيما كان يعرف قبل أيام خلت بالاتحاد السوفييتي.

ثم أنت - بـالتأكيد كـذلك - على علم بأهم كتب علم النحـو في اللغة العـربية على الإطلاق. إنـه «الكتاب» لإمـام النحاة وأول من بسط علم النحـو، عمرو بن عثمان بن قَنْبَر الحارثي بـالولاء، أبـو بشر، الملقّب سيبويه ١٤٨ - ١٨هـ = ٧٦٥- ٧٩٦م[٥] وهو فارسيّ الأصل[٦] ولد في إحدى قـرى شيراز، وقدم البصرة، فلزم الخليل بن أحمد ففـاقه. وصنّف كتابه المسمى: كتـاب سيبويه، في النحو، لم يصنع قبلـه ولا بعده مثله. وقيل: وفاتـه وقبره بشيراز. وكانت في لسانه حُبْسَـة. وسيبويه بالفـارسية رائحـة التفاح. وكـان أنيقاً جميـلاً. تـوفّي شابّـاً[٧] وهكذا شهـد العصر العبـاسي الأول في نحـو الفـارسي: سيبويـه أوّل وضع شـاملٍ لقـواعـد العربيّة، ولم تغيّر الأجيال المتأخّرة شيئـاً من أسسه وقواعده، وإنْ وسّعته

(١) تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٧٥.
(٢) تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٧٣.
(٣) تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٧٤.
(٤) معجم البلدان لياقوت الحموي: «بخاري» ١/ ٣٥٣.
(٥) الأعلام ٥/ ٨١.
(٦) كتاب سيبويه، المقدمة ١/ ٣.
(٧) الأعلام ٥/ ٨١.

توسيعاً مختلف النواحي، أو غيرت من صوره وقوالبه[1].

وهكذا يتبين أن جامع أهم كتاب في أحاديث المصطفى ﷺ رجل من بخارى، وأن واضع أهم كتاب في نحو اللغة العربية رجل من فارس. وهذان العَلَمان رمزان لغيرهما من أعلام الإسلام الذين أسهموا مع إخوانهم العرب في بناء الحضارة الإسلامية. وإن هذا التعاون على بناء الحضارة الإسلامية من أكبر الأدلّة على الأخوة الإسلامية والأخوة الإيمانية وقدرة الإسلام على تفجير طاقات جميع الكفاءات وعبقرياتها واستقبال الأمة الإسلامية بالترحاب لكل الأعمال التي تبني مجد حضارة الإسلام، وكل ذلك تطبيق عملي لمعنى قوله عز من قائل في كتابه العزيز[2]: **﴿ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾** كما أن ذلك تطبيق عملي لقوله ﷺ[3]: **«أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلّكم لآدم وآدم من تراب. أكرمكم عن عند الله أتقاكم. ليس لعربي فضل على عجمي إلا بالتقوى»**.

ولا يتسع المقام لإفاضة الحديث في هذه المسألة وربما اتسع لذكر شيءٍ قليل من إسهامات الحضارة الإسلامية في رقي الإنسانية.

ما أكثر الألفاظ العلمية التي اقتبستها الإنسانية من العربية وما أكثر الإنجازات العلمية التي اقتبستها الإنسانية من الحضارة الإسلامية.

إن الأرقام العشرية في الحساب لم يعرفها الغرب إلا عن طريق العرب[4] فإن المسلمين لما اقتبسوا الأرقام الهندية صقلوها وأضافوا إليها

(١) العربية ٥٠.
(٢) سورة الحجرات آية ١٣.
(٣) نور اليقين ٢٨٢.
(٤) القرآن محاولة لفهمٍ عصريٍ ١٣٩.

الصفر والطـريقة العشرية. ومن ثـم عرفت هذه الأرقـام عند الأوروبيين باسم الأرقام العربيـة. ولايزال اسم الصفر عندهم ZERO زيرو محرّفاً عن اسمه فيها[1] وكلمة أنبيق التي أطلقها جابر بن حيان على جهاز التقطير مـازالت هي ذاتها مستعملـة في الفرنسيـة Ambique ويشتق منهـا الفعل Ambiquer أي يقطـر[2] ولفظ قنـاة الـذي انتقل إلى لغـات العـالم كلهـا عربي، لأنهم كـانوا أول من أجـرى القنوات بنظـام محكم، ونقلوا إلى كل بلدٍ دخلوه نظـام حفر القنوات التحتية على نظام الكظـامات التي كانت معروفـة عندهم في بـلادهم. وكانت الكِظـامات تحفـر في باطن الأرض لتـوصيل ميـاه العيـون بعضهـا ببعض حتى يمكن حفـر آبـار بين العين والعين لـريّ الأرض. وعـرفـوا هذه القنـوات التحتيـة بـاسم المجـاري. وبفضل شبكـات المجـاري العـربيـة نشـأت مـدن كبرى مثل مـرّاكش ومجريط (مدريد) في الجناح الغربي لعـالم الإسلام. ومرو ومرو الروذ وهراة وبلخ وما إليها في الجناح الشرقي[3] وقد أثبت العلامة جـوستاف لوبون نسبة الإبرة (المغنطيسية) إلى العرب في كتـابه عن الحضارة العربية[4] وهو ماتؤكده هونكة[5].

والمراجع العربيّـة تتحدث عن كروية الأرض كحقيقـة مفروغ منها. يقـول ابن يـوسف المصري (٣٩٩هـ - ١٠٠٩م) ذكـر سنـد بن على في كلامٍ وجدته لـه أن المأمون أمره هو وخالد بن عبـدالمالك أن يقيسا مقدار

(١) أثر العرب في الحضارة الأوروبية ٢٣، وانظر: طريق المسلمين إلى الثورة الصناعية ٢٥.
(٢) القرآن محاولة لفهم عصري ١٣٩.
(٣) الإسلام الفاتح ١٨٧.
(٤) أثر العرب في الحضارة الأوروبية ٥٠.
(٥) طريق المسلمين إلى الثورة الصناعية ٢٢.

درجـةٍ من أعظم دائرة من دوائر سطح كرة الأرض. وطـول محيط الأرض كما قاسـه علماء المأمون هـو ٤١٢٤٨ كيلومتراً والمعـروف أن محيط الأرض هو ٤٠٠٧٠ كيلـومتراً. ولذلك يقول نيلنو: قيـاس العرب لمحيط الأرض هو أول قيـاسٍ حقيقي أجرى كله مبـاشرة مع كل ما اقتضتـه تلك المهمة من الـوقت الطـويـل والصعـوبـة والمشقـة واشتراك جماعـة من الفلكيين والمسّاحين في العمل[١] وحينما أراد روجر الثاني ملك صقليـة النورماني في القرن الثاني عشر أن يستـوفي معلومات عصره الجغرافيـة لم يجد من يعتمد عليه في ذلك غير الشريف الإدريسي الذي ولـد في سبته (المغرب) ودرس في قـرطبـة (الأندلـس) وتطايـرت شهـرتـه في بـلاد الحضارة الإسـلاميـة والمسيحية. فوضع كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، وصنع له الملك كرة فضية- تمثل كرة الأرض- زنتهـا أربعمائة رطل رومي ليتخذها مثالاً لما يثبته من معالم الكرة الأرضية[٢].

وتقول الدكتـورة هونكة: «إن فضل ابن الهيثم على الفلك يتجلّى في اكتشافـه أن جميع الأجرام السماوية ومن بينها النجـوم الثابتة ترسل نـورها ما عدا القمـر الذي يستمد نوره من الشمس. وهـذه النتيجة التي انتهى إليها ابن الهيثم نقلته إلى فكرةٍ أخرى جديدة أدت إلى ثورةٍ عارمة في علم الفلك، فقـد عـارض ابن الهيثم العـالمين الإسكنـدريين أويقليـد وبطليموس فأثبت خطأ نظـرياتهما»[٣] وقد قال أويقليـد وبطليموس إن العين ترسل أشعة بصرية على الأشياء المراد رؤيتها فأعلن ابن الهيثم خطأ

(١) طريق المسلمين إلى الثورة الصناعية ٢١، وأثر العرب في الحضارة الأوروبية ٥٢.
(٢) أثر العرب في الحضارة الأوروبية ٥٠.
(٣) طريق المسلمين إلى الثورة الصناعية ٢٢.

هذا الرأي وقال: إن العين لا ترسل شعاعاً، فإنّ الجسم المرئي هو الذي يرسل أشعة إلى العين، وإن عدسة العين هي التي تحوله إلى صورة[١] واستطاع ابن الهيثم عمل أول نظارة طبية[٢] وتوصّل ابن الهيثم تماماً إلى معرفة ارتفاع الطبقة الهوائية المحيطة بالكرة الأرضية وأنها خمسة عشر كيلومتراً[٣].

ويسخر الدكتور عبدالرحمن بدوي من تسمية مدارسنا العربية اللوغاريتمات ترجمة للّفظ اللاتيني ALGUARISMO الذي هو تحريف لاسم الخوارزمي واضع هذه الجداول![٤].

وحسب العرب السنة بمقدار ٣٦٥ يوماً وخمس ساعات و٤٦ دقيقة و٢٤ ثانية. والفلكيون اليوم يحسبونها بمقدار ٣٦٥ يوماً وخمس ساعات و٤٨ دقيقة و٤٧ ثانية[٥].

ويقول الأستاذ كارل ساخاو الذي كان أستاذاً للّغات الساميّة في جامعة فييناّ عن البيروني: إنه أعظم العقول التي ظهرت في العالم[٦].

ويقول توينبي عن مقدمة ابن خلدون بأنها: «بلا شك أعظم مؤلّف من نوعه حاول خلقه أي عقلٍ على الإطلاق في أي زمان أو مكان»[٧].

وكتب الأستاذ جب GIBB في مجموعة تراث الإسلام فصلاً ممتعاً عن أثر العرب في الآداب الأوروبية استشهد فيه بكلمة للأستاذ ماكييل

(١) طريق المسلمين إلى الثورة الصناعية ٢٣.
(٢) طريق المسلمين إلى الثورة الصناعية ٢٤.
(٣) طريق المسلمين إلى الثورة الصناعية ٢٤.
(٤) طريق المسلمين إلى الثورة الصناعية ٢٥.
(٥) طريق المسلمين إلى الثورة الصناعية ٢١.
(٦) أثر العرب في الحضارة الأوروبية ٦٢.
(٧) طريق المسلمين إلى الثورة الصناعية ٣٣.

MAKAIL من محاضراته على الشعر قال فيها: «إن أوربة مدينة لبلاد العربية بنزعتها المجازية الحماسية ROMANCE»[1].

وبشأن الأسوة الحسنة في مجال العلم نستطيع أن نوجز أهم معالم المد الحضاري الإسلامي في القول التالي.

إن المدّ الإسلامي القائم على شهادة التوحيد ابتداءً هو أكبر موجات الحضارة الإسلامية حجماً وأبعدها مدى، وقد تعاون على هذا المدّ أو الموجة الجهاد بالسنان وباللسان، وقد عرفنا أن الجهاد باللسان وبالدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة قد فتح زهاء ثلثي العالم الإسلامي اللذين لم يصلهما جندي مسلم واحد. وفي الإمكان إلقاء نظرة على هذا العالم الإسلامي الممتدّ من المحيط الأطلسي غرباً إلى أندونيسيا. وقد اقترن بهذا المدّ أو الموجة مذاهب الفقه الإسلامي، فعلى سبيل المثال نجد الفقه الشافعي في أندونيسيا والفقه الحنفي في شبه القارة الهندية والفقه الحنبلي في جزيرة العرب والفقه المالكي في أقصى الشمال الافريقي.

كما اقترن بهذا المد أو بهذه الموجة انتشار اللغة العربية منطوقة ومكتوبة، فقد قامت اللغة العربية في فجر الإسلام بالدور العالمي بنجاح منقطع النظير، فقد كان الشخص الذي ينطلق من شرق الدولة في الصين إلى غربها في الأندلس لا يكاد يحتاج إلى غير اللغة العربية لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ثم إن هذه الدولة الإسلامية التي لا يمكن لأحدٍ أن يقطعها على أسرع جمل في أقل من خمسة أشهر[2]

(١) أثر العرب في الحضارة الأوروبية ٦٥ .
(٢) العرب والإسلام ٥٦ .

قد احتضنت الكتابة العربية الإسلامية التي كتب فيها القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وجعلت هذه الكتابة وعاءً لنقل نتاج عقولها .

وإذا كانت موجة المدّ الإسلامي المقرونة بالمذهب الفقهي لازالت حتى يوم الناس هذا تواصل بفضل الله تعالى مدّها فإن اللغة العربية المنطوقة أخذت منذ القرن الثالث الهجري[1] تنحسر بسبب ظهور مايسمى قديماً بالشعوبية حديثاً بالقومية، وظهور اللغات التي تنافس اللغة العربية من حيث التأليف ومن حيث النطق بمعنى أن اللغات المحلية أخذت في الظهور ولكن في ثوب إسلامي. وقد ظلت هذه اللغات مشدودة إلى لغة القرآن الكريم برباطين اثنين، رباط الكتابة فكلّ الشعوب الإسلامية آنذاك تستعمل كتابة المصحف الشريف والحديث النبوي الشريف كما أن لغة القرآن الكريم هي المَعِين الذي تستمد منه لغات العالم الإسلامي معجمها لتلبية حاجاتها الدينية والحضارية .

وظل هذان الرباطان يشدان العالم الإسلامي إلى لغة القرآن الكريم شدّاً. وقد شبّه العلماء لغة القرآن الكريم بجذور الشجرة، واللغة الفارسية بجذع الشجرة، ولغات العالم الإسلامي، وفي مقدمتها التركية قديماً، الأردية حديثاً، بأغصان الشجرة .

وقد كانت ثمرة هذا التناغم كبيرة بين عناصر الحضارة الإسلامية والانسجام بين أجزائها وإن تباعدت، بحيث ظهر العالم الإسلامي في صورةٍ واحدةٍ متناغمة منسجمة رغم اختلاف الألسنة والأجناس والألوان ، لأن عقيدة التوحيد، روح هذه الحضارة، هي التي تصبغ

---

(١) انظر مثلاً : القواعد الأساسية لدراسة الفارسية د. إبراهيم أمين الشواربي هـ .

هذه الحضـارة بلونها. «حتى إن الباحثين في الفنـون الإسلامية قـد لحظوا وحـدة الأسلـوب والـذوق في أنـواعهـا المختلفـة. فقطعـة من العـاج الأنـدلسي، وأخـرى من النسيج المصري، وثـالثـة من الخزف الشـامي، ورابعـة من المعادن الإيـرانيـة، تبدو رغم تنـوع أشكـالها وزخرفتهـا ذات أسلوبٍ واحدٍ وطابع واحد»[1].

وليس بخافٍ على أحـد حالة التمـزّق التي تعيشها الأمة الإسـلامية بفعل أعدائها في المقام الأول. إن العـالم الإسلامي إذا كان يستعمل الخط العربي الإسلامي الذي كتب فيه القـرآن الكريم للمرة الثالثة والأخيرة على عهد عثمان بـن عفان رضي الله عنه ثـالث الخلفـاء الراشديـن سنة خمسٍ وعشرين هجـرية[2] فإنّ عدداً كبيراً من الـدول الإسلاميـة اليوم يستعمل الحروف اللاتينيـة بدلاً من حـروف الخط العثماني. ثم إن اللغة العـربية لم تعـد لغـة العلم وبـالتـالي لم تعد النبع الـذي تستقي منـه لغـات العـالم الإسلامي التي كـانت تستقي ألفاظهـا من لغة القـرآن الكريم والحديث النبوي الشريف. ولا ننسى أن القـومية أو الشعـوبية قـد زاحمت وقتاً من الأوقات الأخوّة الإيمانية.

وكما كان حديثنـا في القضايا السابقـة منطلقاً من إيجابيات السلف الصالح بقصـد إن نتأسّى به، فإنّـا في حديثنـا عن: «العمل على إعادة المجد الإسلامي» نودّ أن نتحدث عن أهم مقـومات هذا المجد الموجودة، بفضل الله تعالى، بين ظهرانَيْنـا، سائلين الله تعالى أن يوفقنا لاستثمار هذه المقـومـات أحسن استثمار، وللعمـل، من أجل عودة مجدنا الإسلامي، على خير وجه، إنه جلّ وعلا نعم المولى ونعم النصير.

---

(١) من روائع حضارتنا ٤٧.
(٢) الإتقان في علوم القرآن ١/ ٢٠٩.

القسم الثالث
العمل على إعادة
المجد الإسلامي



١- عقيدة واحدة :

حينما ننظر إلى العالم الإسلامي من أقصاه شرقاً إلى أقصاه غرباً نتبين أنه يكاد يكون عالماً موصولاً من أندونيسيا إلى أقصى المغرب العربي . ولعل قائلاً يقول إن هذا العالم تقطعه دولة كبرى في شبه القارة الهندية مثلاً وهي دولة الهند، والجواب على ذلك أن في الهند أكبر أقلية إسلامية في الدنيا إذ يزيد عدد المسلمين في الدولة الهندية على مائة مليون مسلم، هذا إلى أن في شبه القارة الهندية أكبر تجمع إسلامي حينما نجمع أعداد المسلمين في الباكستان وبنقلاديش والهند. ومعروف أن عدد المسلمين في العالم يزيد على ألف مليون مسلم ومسلمة .

وسبق أن عرفنا أن العالم حينما ولد محمد بن عبدالله ﷺ فريقان، أهل كتاب وغير أهل الكتاب . وإذا كان الشرك قد تسرب إلى كل من اليهودية والنصرانية فما الذي يمكن أن يقال وراء ذلك بشأن ديانات غير أهل الكتاب، إن الشرك لُحْمَتُها وسَداها . وقد جاء بشأن اليهود والنصارى في القرآن الكريم قوله عزّ من قائل[1]: ﴿**وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل. قاتلهم الله أنى يؤفكون**﴾ وجاء في سورة المائدة عن النصارى قوله تعالى[2]: ﴿**لقد كفر الذين قالوا إنّ الله هو المسيح ابن مريم**﴾ وقوله تعالى[3]: ﴿**لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم. وقال المسيح يابني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم.**

(١) سورة التوبة آية ٣٠ .

(٢) سورة المائدة ١٧ .

(٣) سورة المائدة ٧٢، ٧٣ .

إنـه من يشرك بالله فقـد حرم الله عليـه الجنة ومأواه النـار وما للظـالمين من أنصـار. لقد كفـر الذين قـالوا إن الله ثـالث ثـلاثة . ومـا من إله إلا إلـه واحد . وإن لم ينتهوا عمّا يقولـون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم﴾
وإذا كانت اليهـودية ديانة إقليميـة محصورة في أتباع موسى عليـه السلام من بني إسرائيل ، وكانت النصرانيـة ديانة إقليمية في أسـاسها محصورة في أتبـاع عيسى عليه السـلام من بني إسرائيل ، وكان النصـارى بعد زهـاء ثلاثمائة سنـة من رفع المسيح عليـه السلام قد انحـرفوا عن سـواء السبيل حتى غـدت نصرانيـة اليوم مغـايـرة لما جـاء به عيسى عليـه السـلام فإن العقيـدة الإسـلاميـة هي الصـافيـة وهي النقيـة وهي الخالصـة . إن الله سبحـانـه وتعـالى قـد تكفل بحفـظ القـرآن الكـريم وحـده ، وقـد قـال تعالى[1] : **﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾** وقال تعالى[2] : **﴿بل هـو آيات بينـات في صدور الـذين أوتـوا العلم . وما يجحـد بـآياتنـا إلا الظالمون﴾** أما الكتب السماوية السابقة فقد أوكل الله تعالى مهمة حفظها إلى العلماء الذين خانوا الأمانة وحرفوا الكلم عن مواضعه وغيروا وبدّلوا . وكانت النتيجة أنا لا نعرف مثـلاً عن صحف إبراهيم عليه السلام وزبور داود عليه السلام إلاّ الاسم . أما التوراة التـي أوحاها الله تعالى إلى موسى عليه السلام والإنجيل الذي أوحاه الله تعـالى إلى عيسى عليه السلام فقد تعـرض كل منهما لتحريف شـديد بـاعتراف كل من اليهود والنصـارى ، من صرفٍ للمعنى عن وجهـه ، ومن حـذفٍ وإضافـةٍ ، وكتمانٍ ، وتـرنّم بالمدسوس على الكتاب السماوي ليوهم بأنه منه وما هو منه . وهكذا .

---

(١) سورة الحجر ٩ .
(٢) سورة العنكبوت ٤٩ .

ومن البين أن نقاء عقيدة التوحيد في الإسلام إنما تحقق ويتحقق بفضل الله تعالى بسبب حفظ الله تعالى للقرآن الكريم إلى يوم الدين وبسبب تسخير الله تعالى جيشاً من العلماء لخدمة سنة المصطفى ﷺ المبيّنة للقرآن الكريم، وقد قال تعالى[1]: ﴿**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم ولعلهم يتفكرون**﴾ وسبق لنا أن أومأنا إلى أمير المؤمنين في الحديث أبي عبدالله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري. وبسبب هذه الخدمة العظيمة للسنة المطهرة الجليلة والذب عنها أمكن معرفة كل صغيرة وكبيرة عن المصطفى ﷺ على وجه الحق ومن ثم تسنى اتخاذه أسوة حسنة لنا نحن المسلمين مصداقاً لقوله عز من قائل[2]: ﴿**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً**﴾ وبما أن سيرة المصطفى ﷺ هي الوحيدة من بين سائر النبيين الكاملة العملية التاريخية وبما أنا لا نكاد نعرف عن موسى عليه السلام سوى النزر اليسير من حياته عليه الصلاة والسلام[3] ولا نكاد نعرف عن عيسى عليه السلام سوى بعض مايتعلق بالخمسين يوماً الأخيرة من حياته عليه الصلاة والسلام[4] فقد أمكن اتخاذ محمد بن عبدالله ﷺ أسوة حسنة لكل مسلم. ثم إن الزعم بأن عيسى عليه السلام هو ابن الله أو الله: ﴿**كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً**﴾[5] مما يبعد إمكان اتخاذه عليه الصلاة والسلام أسوةً حسنة لأتباعه عليه الصلاة والسلام.

---

(١) سورة النحل ٤٤.
(٢) سورة الأحزاب ٢١.
(٣) انظر مثلاً: الرسالة المحمدية للسيد سليمان الندوي ٥٦، و٥٧.
(٤) انظر مثلاً: النبي الخاتم ﷺ لأبي الحسن الندوي ١٣.
(٥) سورة الكهف ٥.

ومن الواضح أن من أهم عوامل بقاء عقيدة التوحيد نقية من كل شائبة الاستمساك بتعاليم القرآن الكريم وسنة المصطفى ﷺ كما أمر عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع، فعلينا أن نَعَضَّ عليهما بالنواجذ.

وإن من وسائل خدمة القرآن الكريم مسابقات حفظ القرآن الكريم المحلية والعالمية التي انطلقت بفضل الله تعالى من كوالالمبور عاصمة ماليزيا قبل مايزيد على الثلاثين عاماً، والتي انتشرت في سائر أنحاء الدنيا، والتي وصلت بفضل الله تعالى إلى مكة المكرمة. فها هي ذي المسابقة العالمية الرابعة عشرة لتلاوة القرآن الكريم وتجويده وتفسيره تعقدها في مكة المكرمة وزارة الحج والأوقاف في المملكة العربية السعودية في شهر رجب وشعبان عام ١٤١٢هـ يناير وفبراير عام ١٩٩٢م ولله الحمد والمنة. وإن من أهم مايميز هذه المسابقة الرابعة عشرة في المملكة العربية السعودية اشتراك إخوة لنا في العقيدة جاءوا لأول مرة بعد سبعين عاماً من العزلة التي فرضها الإلحاد عليهم. لقد دمّر الله تعالى الإلحاد تدميراً ولله الحمد والمنة. وإنه ليطيب لنا أن نختم هذه الكلمات في العقيدة عقيدة التوحيد بسورة الإخلاص: ﴿**قل هو الله أحد. الله الصمد. لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد**﴾.

٢- أمة واحدة :

أراد الله سبحانه وتعالى لنا أن نكون أمة واحدة وقد قال تعال[١] : **﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾** وقال تعالى[٢] : **﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾** وكيف لا تكون هذه الأمة أمة واحدة وهي التي تعبد إلهاً واحداً وتؤمن بكتابٍ سماوي واحدٍ هو القرآن الكريم، وتتبع رسولاً واحداً هو محمد بن عبدالله ﷺ وتعتنق ديناً سماوياً واحداً هو دين الإسلام الذي بعث الله سبحانه وتعالى به محمد بن عبدالله ﷺ خاتم النبيين وأشرف المرسلين و إمام المتقين قال تعالى[٣] : **﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أنّ لهم أجراً كبيراً﴾** وقال تعالى[٤] : **﴿ما كان محمد أبا أحدٍ من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين . وكان الله بكل شيءٍ عليما﴾** وقال تعالى[٥] : **﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾** .

إن على هذه الأمة المسلمة أن تقدر نعمة الإسلام حق قدرها وأن تقوم بما يجب عليها من شكر لله تعالى على نعمه العظيمة وآلائه الجسيمة وذلك من ناحية بالاستمساكً بتعاليم القرآن الكريم وسنة المصطفى ﷺ كما أمر عليه الصلاة والسلام في خطبته العصماء في حجة الوداع، ومن ناحيةٍ أخرى بالعمل على نشر هذا الدين في الخافقين والدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة فقد وعد الله تعالى، ووعده الحق،

---

(١) سورة الأنبياء ٩٢ .
(٢) سورة المؤمنون ٥٢ .
(٣) سورة الإسراء ٩ .
(٤) سورة الأحزاب ٤٠ .
(٥) سورة المائدة ٣ .

بإظهار هذا الدين على الدين كله وبجعل كلمة الذين آمنوا وعملوا الصالحات العليا. قال تعالى[1]: ﴿**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن. إنّ ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين**﴾ وقال تعالى:[2] ﴿**هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدّين كله. ولو كره المشركون**﴾ وقال تعالى[3]: ﴿**هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدّين كله وكفى بالله شهيدا**﴾ وقال تعالى[4]: ﴿**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلكم وليمكّننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدّلنّهم من بعد خوفهم أمناً. يعبدونني لا يشركون بي شيئاً. ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون**﴾.

وإن لنا نحن المسلمين أسوةً حسنة في المصطفى ﷺ وفي سلفنا الصالح فقد تبينا أنّ المجاهدين في سبيل الله تعالى بالسيف والسنان كانوا رهبان الليل وفرسان النار، وأن أخلاقهم الحميدة فتحت مغاليق القلوب وفعلت أكثر مما فعلت سيوفهم ولهذا وفقهم الله تعالى ففتحوا زهاء ثلث العالم المسكون آنذاك في زهاء ثلث قرنٍ من الزمان، وهي سرعة لا نظير لها قبل ولابعد، هذا مع عمق الأثر الذي ليس له نظير قبل ولا بعد. وها هي ذي الشعوب التي وصلها الإنقاذ الإسلامي تتخلى قريرة العين عن معتقداتها ولغاتها وثقافاتها وحضاراتها وتعتنق

---

(١) سورة النحل ١٢٥ .

(٢) سورة التوبة ٣٣، وسورة الصف ٩ .

(٣) سورة الفتح ٢٨ .

(٤) سورة النور ٥٥ .

الإسـلام وتسهم بكل إخـلاصٍ في بنـاء صرح حضـارتـه الـزاهي السّنـا والسّناء.

وقد عـرفنا أن دين الإسلام الـذي رضيه الله تعالى لعبـاده والذي لا يقبل جلّ وعـلا مـن البشر دينـاً سـواه قـد فتح ثلثي العـالم الإسـلامي بأخـلاق دعاتـه العلماء الحلماء الربـانيين. أليست أنـدونيسيا أكبر دولـة إسلامية؟ بلى. وهل انتشر الإسلام فيها إلا بفضل الله تعالى ثم بالأخلاق الفاضلـة للدعـاة إلى الله تعالى. والحقيقـة أنّا نتبين في انتشـار الإسلام في أنـدونيسيا في تلك السرعـة العجيبة معنى مثل قـوله تعـالى[١]: ﴿**ياأيها الـذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقـدامكم**﴾ فقد صرف تعـالى عن الـدعاة إلى الله تعـالى أبصار خصومهـم الذين شُغِلـوا بحطام الـدنيا وتركوا الدعاة إلى الله تعالى وشأنهم. وإليك مايقول في هذا الشأن العلامة الـدكتور حسين مـؤنس[٢]: «لقـد اشترك في نقل الإسلام حتى الكفـار. ومن بين المستشرقين رجلٌ سنتحـدث عنـه نصح حكومتـه بترك الإسـلام ينتشر حتى يشتغل بـه النـاس ويتركـوا التجـارة والأمـوال للهـولنـديين، وأخذت الـدولة بكـلامه. فكانت نصيحـة هذا الكافـر لدولتـه سبباً في الإسراع بـانتشار الإسـلام في أندونيسيـا. وانساح الإسـلام في أندونيسيـا حتى عمها كلهـا» وقد تحدث عن هـذا المستشرق في موضع آخـر واسمه سنـوك هورجـرنيـه SNOUCK HURGRONJE[٣] يقـول الدكتـور حسين مـؤنس[٤]: «بل نصح الـرجل الحكـومة بأن تشجـع انتشار الإسـلام في

(١) سورة محمد ٧.
(٢) الإسلام الفاتح ١٦.
(٣) الإسلام الفاتح ٥١.
(٤) الإسلام الفاتح ٥١.

الجزر حتى يزداد المسلمون في الدين غرقاً وينعم الهولنديون بالغرق في المال. فكانت المراكب التجارية الهولندية المقبلة فارغة من أوروبا تأخذ حجاج الاندونيسيين من الشواطيء العربية والهندية بأجرٍ لا يذكر وتنزلهم في جدة وينبع. ولم يحاول الهولنديون إدخال الحروف اللاتينية في البلاد لطباعة الكتب الأندونيسية، بل عملوا على تشجيع استعمال الحروف العربية التي كانت مستعملة للكتابة في البلاد قبل دخولهم. فظلت اللغة الأندونيسية تكتب بالعربية. وإلى حين قريب كانت في حي الأزهر مطابع تطبع الكتب الملاوية والجاوية والاندونيسية. وكانت القاهرة إذ ذاك مركز الطباعة العربية في العالم» وأود أن أختم حديثي عن الدعوة إلى الله تعالى بهذا الاقتباس للعلامة أبي الحسن الندوي[1] :

«والدعوة إلى الله هي الناحية الوحيدة التي لاتزال فارغة في خارطة العالم، لا تشغلها أمةٌ ولا دعوة. فإذا عمرها المسلمون أحسنوا إلى الإنسانية وإلى أنفسهم، وأمسكوا هذا العالم المتمدن الذي قد كاد يهوى في الهاوية».

---

(١) إلى الإسلام من جديد ٢٠.

٣- كتابة واحدة ولغة علمية واحدة :

لاحظنا بشأن الدولة الإسلامية التي كانت ممتدة من الصين شرقاً إلى فرنسا غرباً ومن سيبيريا شمالاً إلى المحيط جنوباً أن المسافر فيها لايكاد يحتاج إلى غير اللغة العربية التي قامت بالدور العالمي بنجاح منقطع النظير في ظل تلك الظروف الصعبة للانتقال والحركة . وبعد أن انحسر مد اللغة العربية المنطوقة ابتداءً من القرن الثالث الهجري ظل العالم الإسلامي مشدوداً إلى لغة الكتاب العزيز برباطين وثيقين دليلاً على وحدة هذه الأمة . وهذان الرباطان هما الكتابة ، فقد احتضن العالم الإسلامي كله كتابة المصحف الشريف لكتابة لغاته ، واعتبار الكتاب العزيز المصدر الذي تستقي منه اللغات الإسلامية ألفاظها لتلبية الاحتياجات المختلفة ، ومن هنا توزع المعجم العربي في لغات العالم الإسلامي ، بل إن بعض لغات العالم الإسلامي استعارت بحور الشعر العربي لنظم شعرها وأسماء البحور كالفارسية والتركية والأردية ، بل إن لغة كالفارسية استعارت قدراً كبيراً من النحو العربي[١] .

وما الذي طرأ على هذين الرباطين في عالمنا المعاصر؟

بشأن الكتابة أخذت الكتاب باللاتينية تزاحم كتابة المصحف الشريف فقد حلت الكتابة باللاتينية محل كتابة المصحف الشريف لدى بعض الدول الإسلامية وبذلك قُطع ما بين حاضر تلك الأمة وماضيها

---

(١) القواعد الأساسية لدراسة الفارسية ز .

المجيد لأن النشء الجديد على غير علم بكتابة المصحف الشريف. وقد ثبت عدم الصدق في إعادة كتابة التراث بالحروف اللاتينية، فعلى سبيل المثال لم تُعَدْ كتابة واحدٍ في الألف من التراث الإسلامي التركي خلال خمسين سنة من التحول عن الكتابة الإسلامية(١).

فما العمل من أجل عودة المسلمين جميعاً إلى الكتابة الإسلامية، كتابة المصحف الشريف؟ نشر المصحف الشريف بكل الوسائل ونشر كتاتيب تحفيظ القرآن الكريم ومدارسه وجمعيّاته في كل مدينةٍ وقريةٍ وحي وزاوية، ونشر مسابقات القرآن الكريم على كل المستويات المحلية والعالمية. وإن هذه مناسبة طيبة للتّنويه بمسابقات القرآن الكريم العالمية ومنها مسابقة كوالالمبور ومكة المكرمة، وبمجمعات طباعة المصحف الشريف ومنها مجمع الملك فهد حفظه الله لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة. لقد أمكن بفضل الله تعالى توزيع زهاء ستين مليون نسخة من هذا المصحف الشريف الذي بلغ بفضل الله تعالى حيث بلغ الليل والنهار(٢). وحينما نعلم ان عدد المسلمين في الدنيا يزيد على ألف مليون مسلم ومسلمة ندرك ان المسلمين بحاجة إلى أن تتضافر جهودهم من أجل القرآن الكريم طبعاً وتلاوة وتجويداً وتفسيراً. إن هذه مهمة أكبر من أن تطيق تحمُّلها جهةٌ واحدةٌ مهما بلغت إمكاناتها فعلى المسلمين ان يتعاونوا وأن تتكاتف جهودهم من أجل إظهار الأمة المسلمة أمة واحدة حقيقة وشكلاً، باطناً وظاهراً، والله ولي التوفيق.

وما الذي طرأ على الظاهرة الأخرى أو الرباط الآخر الذي يشدّ المسلمين إلى لغة القرآن الكريم شدّاً وهو اعتبارها المصدر الذي تستقي

---

(١) انظر مثلاً: الزحف على لغة القرآن ٩١ أحمد عبدالغفور عطّار بيروت ١٣٨٥هـ.

(٢) في أثناء مراجعة تجارب طباعة هذا العمل زاد عدد المصاحف التي تمّ توزيعها على الثمانين مليون نسخة. ولله الحمد والمنة.

منه لغات العـالم الإسلامي؟ إن اللغة العربية لم تعـد لغة العلم كما كانت بالنسبة للعالم الإسلامي كلّه قـديماً، بل إن اللغة العربية لم تعد لغة العلم في أكثر البـلاد العربيـة ظناً من بعضهم أنّ اللغة العـربية عـاجزة عن ان تكون لغة العلم وهي التي قـامت قديماً بهذا الدور بنجاحٍ منقطع النظير، هذا إلى ان اللغة العربية أغنى لغـات العالم عدد مفردات. فما العمل من أجل عـودة المسلمين إلى ماكـانوا عليه مـن اعتبار اللغـة العربيـة مصدر الغناء للغات العالم الإسلامي؟.

العمل ذو شقين. . تعريب التعليم في العالم العربي.

واتفـاق المسلمين على اعتبار إحـدى اللغـات الإسـلامية المصـدر الذي تستقي منـه اللغات الإسلامية مفـرداتها. وليس ثمة لغة إسـلامية أولى بهذا الدور وأقدر على القيـام بهذا الدور من لغة القرآن الكـريم ولغة الحديث النبوي الشريف. خـاصة وان العـالم الإسلامي قديماً كـان يقوم بهذا العمل، كما ان العـالم الإسلامي هـو الذي جعل اللغـة العربيـة لغة العلم لأنها لغـة الخلود بسبب نـزول القرآن الكـريم فيها. وقـد تكفل الله تعـالى بحفظ هـذا الكتاب العـزيـز إلى يـوم الدين. والمعـروف ان اللغـة العـربيـة قـامت في بغـداد بترجمة التراث العـالمي إليهـا، وأنها قـامت في الأنـدلس بترجمة التراث العـالمي منهـا إلى غيرهـا من اللغـات. وهكـذا قامت اللغة العـربية بكفاءة عالية بكل الجوانـب التي يتألف منها الدور العالمي للغـة من اللغات. كفاءة في التعبير وفي الكتابـة وفي الاستيعاب إليها والاستيعاب منها.

٤- مكان واحد :

كـانت الدولـة الإسلاميـة ممتـدة دون انقطاع من الصين إلى حـدود فرنسا وفي العصر الحاضر بتألف العالم الإسـلامي من الدول العربية وغير العـربية ولم يعـد كل من العالمين الإسـلامي والعـربي موصـولين كما كانـا قديماً. إن دولـة الهند مثـلاً تفصل بين بنقلاديش وبـاكستان. أمـا العالم العـربي فإنـه يقطع لأول مـرةٍ نصفين بفعل دولـة العـدوان إسرائيل التي غُـرِست في صـدر العالم العـربي وقطعتـه نصفين فلم يعـد العالم العـربي موصـولاً براً كما كـان من ذي قبل. وليس بخافٍ أن دولـة البغي إسرائيل قد قامت في قلب العالمين العربي والإسلامي على أنقاض شعب فلسطين العـربي المسلم كما قـامت بـاحتـلال القـدس الشريف والاستيـلاء على المسجـد الأقصى المبارك أولى القبلتين وثـالث الحرمين الشريفين ومسرى محمـد بن عبدالله ﷺ الـذي أسرى الله بـه من المسجد الحرام إلى المسجـد الأقصى الذي بـارك الله تعالى حولـه. إن هذه النكبة التي حلت بـالعالم الإسـلامي تذكّـر بالحمـلات الصليبية التي شنهـا الصليبيون على العـالم الإسلامي وأسّسوا في أثنائها ثلاث ممالك هي مملكة الرُّها بضم الراء وهي مدينة بـالجزيرة بين الموصل والشام[١] ومملكة أنطاكيَة، بينها وبين حلب يـوم وليلـة[٢] ومملكـة القـدس وتشمل فلسطين كلهـا، وهي الـدولـة الصليبية الأولى، مثل الدولة الصهيونية الموجودة الآن[٣].

---

(١) معجم البلدان «الرُّها».

(٢) معجم البلدان «أنطاكية» وأنطاكية هي الاسكندرونة حالياً.

(٣) معارك حول القدس، الدكتور محمد ضياء الدين الريس ١٩.

ورفع المسلمون أخيراً راية الجهاد في سبيل الله تعالى ضد الصليبيين. وأول من رفع راية الجهاد في سبيل الله تعالى السلطان عماد الدين زنكي (٤٧٨-٥٤١هـ = ١٠٨٥-١١٤٦م)[١] الذي أكرمه الله تعالى بعد عشر سنواتٍ فقط من رفع راية الجهاد في سبيل الله تعالى أن يستعيد منهم ثالث الممالك الصليبية مملكة الرُّها سنة ٥٣٩هـ[٢] وحمل راية الجهاد في سبيل الله بعده ولده الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي (عماد الدين) (٥١١-٥٦٩هـ = ١١١٨-١١٧٤م) وهو أعدل ملوك زمانه وأجلهم وأفضلهم. وهو أول من بنى داراً للحديث[٣] وكانت أغلى أمنياته أن يموت شهيداً في الميدان ويبعث جثمانه يوم القيامة من حواصل الطير وبطون السباع في الوديان[٤] ومات بعلة الخوانيق في قلعة دمشق فقيل له الشهيد[٥] وحمل راية الجهاد في سبيل الله بعدهما الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ملك مصر[٦] (٥٣٢- ٥٨٩هـ = ١١٣٧-١١٩٣م)[٧] الذي انصرف إلى عملين جدّيّين: أحدهما الإصلاح الداخلي في مصر والشام، بحيث كان يتردد بين القطرين. والثاني دفع غارات الصليبيين ومهاجمة حصونهم وقلاعهم في بلاد الشام. وكان أعظم انتصارٍ له على الفرنج في فلسطين والساحل الشامي يوم حطين الذي تلاه استرداد طبرية وعكّا ويافا إلى ما بعد

---

(١) الأعلام ٣/ ٥٠.
(٢) الأعلام ٣/ ٥٠، ومعارك حول القدس ٢٣.
(٣) الأعلام ٧/ ١٧٠.
(٤) معارك حول القدس ٢٣.
(٥) الأعلام ٧/ ١٧٠.
(٦) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ١٣١.
(٧) الأعلام ٨/ ٢٢٠.

بيروت. ثم افتتاح القدس سنة ٥٨٣هـ[١] ولم يدّخر لنفسه مالاً ولا عقاراً[٢] وقد اجتمع تحت لواء صلاح الدين للجهاد أجناس كثيرة من المسلمين لم تجتمع قبل. والتهبت شعلة الجهاد والغيرة الإسلامية بعد مدّة طويلة واستخدم صلاح الدين للجهاد كل ما وصل إليه العالم الإسلامي من العلم والاختراع وصناعة الحرب يومئذٍ، وكل ما أوتي من الذكاء والصبر والتفكير وهزم الصليبيين في حطين عام ٥٨٣ هزيمة منكرة وكسر شوكتهم وفتح القدس في نفس العام واستولى على فلسطين كلها وانحصر الصليبيون في صور فقط[٣].

إن سلفنا الصالح قد بيّن لنا طبيعة العمل الذي نقوم به في الظروف المشابهة. وبشأن بني إسرائيل جاء قوله عزّ من قائل في القرآن الكريم في سورة الأعراف[٤]: **﴿وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب. إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم﴾**.

ومن فضل الله تعالى علينا نحن المسلمين موقعنا المكاني الممتاز في الدنيا هذا إلى وجود أكثر الممرات المائية العسكرية في أثنائه.

---

(١) الأعلام ٨/ ٢٢٠.
(٢) الأعلام ٨/ ٢٢٠.
(٣) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ١٣١.
(٤) الآية ١٦٧.

٥- زيادة مطردة في عدد السكان :

عدد المسلمين في الدنيا يـزيد على ألف مليون مسلم ومسلمة ، ولله الحمد والمنة ، ومعروف أن كثرة السكـان تعني كثرة الأيدي العاملة وليس الأفواه الآكلة ، فقـد ثبت أن كثرة السكان من أسبـاب النمو الاقتصادي بسبب العمل من نـاحيـة والاستهـلاك من نـاحيـةٍ أخـرى وقـد ثبت ان المسلمين أخصب الناس جنسياً ولله الحمد والمنة . ومن أهم أسباب هذه الخصوبة العفة التي يمتاز بها المسلمون امتثالاً لأمر الله تعالى في مثل قوله عز من قائل[1] : ﴿**قل للمؤمنين يغضوا من أبصـارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم، إن الله خبير بما يصنعون . وقل للمـؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظـن فروجهن ولايبديـن زينتهن إلا ما ظهر منهـا وليضربن بخمرهـن على جيوبهن ولا يبدين زينتهـن إلا لبعولتهن أو آبائهـن أو آباء بعولتهن أو أبنـائهن أو أبناء بعولتهن أو إخـوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسـائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التـابعين غير أولى الإربة من الـرجـال أو الطفل الـذيـن لم يظهـروا على عـورات النسـاء . ولا يضربن بأرجلهن ليعلم مـايخفين من زينتهن . وتـوبـوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنـون لعلكم تفلحـــون**﴾[2] ولبعض الغـربيين مطـاردة للمسلمين في هــذه الخصـوبة ومقـارنة بينهم وبين غير المسلمين . فعلى سبيل المثـال تبين أن لدى مصر أعلى نسبة مواليد بين كل شعوب العالم الإسلامي[3] ومن أشدّ

(١) سورة النور ٣٠ - ٣١ .
(٢) درسنا هذا المعنى في كتابنا تأملات في سورة الأحزاب تحت عنوان بين الحقيقة والجهال ٥٤٩ .
(٣) الإسلام قوة الغد العالمية ١٨٢ .

الملاحظات طـرافة أن المحللين الغـربيين ذهبوا إلى أن عـدد سكان مصر سيصل إلى تسعـة وأربعين مليونـاً عام ٢٠٣٧م[١] واللطيف في الأمر أن عدد سكان مصر تجاوز هذا الـرقم الذي قدره الخبراء قبل نصف قرن من الموعد المحدد!

ولاحظ الخبراء أيضاً أن الأرقـام تدل على أن تركيـا تضارع مصر وإن لم تصل في هذا المجال إلى درجة التساوي[٢] .

وإليك هذه المقارنات التي ينبغي أن يأخـذها المسلمون مأخذ الجدّ وأن يشكروا الله تعالى نعمه وآلاءه .

إن الخصوبـة البشرية لدى العـرب أكبر من الخصوبة لـدى اليهود بمرتين ونصف[٣] .

وفي الجزائر حيث يقطن العنصر الإسلامي بجانب الأوروبي مباشرة تظهر الـدراسات أن نسبـة الزيادة بينهما مختلفـة اختلافـاً كبيراً . إذ يفوق إنتاج الخصوبة البشرية لدى المسلمين مـا يقابله لدى الأوروبيين أو لدى اليهود الـذين يحملون الجنسية الفرنسيـة بأربع مراتٍ تقريبـاً . وفي تونس حيث يمثل الإيطـاليـون غـالبيـة العنصر الأوروبي- وهـم أبنـاء أخصب الأمم الأوروبية- يزيد الإنتاج العربي مرتين ونصف عن الأوروبي[٤] .

وإلى المسلمين هذا الاستنتـاج الخطير[٥] : «ولقـد دفع الصراع بين القوى الأوروبية العظمى وبين الشعوب الإسـلامية- وهو صراع نتج عن

---

(١) الإسلام قوة الغد العالمية ١٨٤ .
(٢) الإسلام قوة الغد العالمية ١٨٥ .
(٣) الإسلام قوة الغد العالمية ١٨٦ .
(٤) الإسلام قوة الغد العالمية ١٨٦ .
(٥) الإسلام قوة الغد العالمية ١٨٧ .

اتجاه أوروبا إلى التوسع الاستعماري- إلى ضرورة القيام بدراسات مقارنة في المجال السكاني للوقوف على اتجاه ميزان القوى- من الناحية البشرية- بين الطرفين. وتوصل الباحثون إلى نتيجة تدعو إلى التفكير والتأمل. فقد أثبتوا- بناءً على أرقام توصلوا إليها في عام ١٩٣١م- أن بين كل ١٣,٣ من البالغين في أوروبا يوجد شاب واحد تحت الخامسة عشرة. أما في مصر وتركيا و إيران فقد أثبت الإحصاء الذي جرى في نفس العام أن فيها شاباً تحت الخامسة عشرة بين كل ١,٣٨ من البالغين. وطبقاً لهذه النتيجة التي تبين اختلاف نسبة الأطفال إلى البالغين بين أوروبا والعالم الإسلامي أمكن للمرء أن يتنبّأ بأن تفوق الإنتاج البشري في المنطقة الإسلامية سوف يؤثّر تأثيراً بالغاً على العلاقة بين الشرق والغرب في عشرات السنين القادمة».

وقد لاحظ الباحث أن البلاد الغربية ينقص عدد سكانها باستمرار[١] وفي المقابل ينقص تفوق أوروبا في التكنولوجيا على الشرق عاماً بعد عام، لأن الشعوب الإسلامية اتجهت إلى تطوير نفسها وبناء حضارتها بالوسائل الهندسية الأوروبية[٢] إن في أوروبا وأمريكا الأطفال يقلّون والعجائز يكثرون[٣] وفي فرنسا وبلجيكا والنمسا يقل عدد السكان[٤] وأما عدد السكان في إنجلترا فهو أيضاً يكاد يكون ثابتاً[٥] والعجيب كل العجب أن السويد هو البلد الذي قد أبرم الاتفاقية مع حكومة باكستان لمساعدتها على التقليل من عدد سكان باكستان وهو

(١) الإسلام قوة الغد العالمية ١٨٩.
(٢) الإسلام قوة الغد العالمية ١٨٩.
(٣) انظر: حركة تحديد النسل، لأبي الأعلى المودودي ٢٢.
(٤) حركة تحديد النسل ٤٦.
(٥) حركة تحديد النسل ٤٦.

الـذي يعاني من نقص السكـان[1] وفي ذات الوقت الـذي يحذر بعضهم من خطر الجدب وقلـة القمح تحرق الأرجنتين وأمريكا كميـات وافرة من قمحهما[2] وينبغي على عبـاد الله تعالى ألاّ ينسـوا أنّ ٧٠٪ على الأقل من مجموع مساحة الكـرة الأرضية غير مزروع، وأنّ المزروع ١٠٪ فقط هذا إلى أنّ الزراعة الكثيفة منها زهيدةٌ جداً[3] وقد قال تعالى[4] : **﴿وما من دابةٍ في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كلٌّ في كتابٍ مبين﴾** .

وينبغي التنبيـه إلى أن حركـة تحديـد النسل إنما يراد بها المسلمـون، وينبغي التنبيه إلى أن المسلمين الذين طبقوا حـركة تحديد النسل في بعض البلاد قـد غدوا أقلية بـالقياس إلى غير المسلمين الذين لايطبقـون عملية تحديـد النسل . وينبغي ألا ننسى أن دولة كـالفلبين كـانت مسلمة مـائة بـالمائة وقـد انخفض فيهـا عـدد المسلمين اليـوم إلى زهـاء ٥٪ بل ويـراد القضاء على هـذه البقية الباقيـة فعلى المسلمين أن يمتثلوا أوامـر الله تعالى وأوامر رسوله ﷺ قال تعالى[5] : **﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبـادكم وإمـائكم . إن يكونـوا فقـراء يغنهم الله من فضلـه . والله واسعٌ عليم﴾** وقد جاء في السنن من غير وجـهٍ أن رسول الله ﷺ قال : **«تزوجوا الولود تناسلوا فإني مباه بكم الأمم يوم القيامة»**[6] .

وعلينا نحن المسلمين أن نُعْنَى بالشباب عنايـة بالغة لأنهم إذا كانوا

(١) انظر: حركة تحديد النسل ٦٣ .
(٢) حركة تحديد النسل ١١٠ .
(٣) حركة تحديد النسل ١١٤ .
(٤) سورة هود ٦ .
(٥) سورة النور ٢٢ .
(٦) تفسير ابن كثير ٣/ ٢٨٦ .

نصف الحاضر فإنهم كل المستقبل، وعلينا أن نساعدهم على العفاف والصلاح. جاء في الصحيحين عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء[1].

وإنّ من أكبر الأدلة على عناية المصطفى ﷺ بالشباب أنه عليه الصلاة والسلام قبيل وفاته جهز جيشاً إلى الشام تحت قيادة أسامة بن زيد وهو شاب في سن العشرين وتحت لوائه شيوخ المهاجرين والأنصار كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي[2].

وها هو ذا صلاح الدين الأيوبي يعني بالشباب عناية بالغة من جميع النواحي العلمية والصحية والغذائية والسكنية إلخ امتداداً لعنايته بالأمة كلها حتى إنّ ابن جبير الأندلسي يقول في رحلته إعجاباً بصلاح الدين وإكباراً له[3]: «فسبحان الذي جعله صلاح دينه كاسمه».

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٢٨٦.
(٢) السيرة النبوية دروس وعبر ١٨٥.
(٣) رحلة ابن جبير ٢٣، وانظر: خطوات نحو القدس ٨٥.

٦- تكامل في المواد الأولية :

منّ الله سبحانه وتعالى على العالم الإسلامي بموقع جغرافيّ متميّز. وفي هذا العالم كل المواد الخام الضرورية لقيام صناعات على أرفع المستويات. ومن أهم هذه المواد البترول الذي لا نحتاج للحديث عن نسبة الاحتياطي الهائلة منه في العالم الإسلامي وعن أهميته.

ونود أن نشير بإيجاز إلى بعض هذه المواد ومواضعها في العالم الإسلامي علماً بأنّ الدراسات تكشف عن المزيد من المواضع ولله الحمد والمنّة.

إن بلاد الملايو، وهي اليوم القاعدة الرئيسية لمملكة ماليزيا بلاد غنية، تنتج المطاط والتوابل والأخشاب الغالية. وفيها أكبر مناجم القصدير في الدنيا، وفيها كذلك بترول كثير[١].

وصارت مصر أهم مركز للقطن في الشرق الأدنى، ويمتاز قطنها- حتى يومنا هذا- بأنه أجود أنواع القطن في العالم كله[٢] وأصبح إنتاج القطن مهماً في التجارة العالمية، وانتزع القطن المصري المركز الأول في طول تيلته وجودة نوعيّته[٣] علماً بأن السودان، أكبر الدول الإسلامية في قارة أفريقيا، هو بلد القطن في المستقبل[٤].

وقد اكتشف أثناء البحث الشامل للجبال الإيرانية معدن الحديد والنُّحاس، وكانت نوعية النحاس المكتشف جيدة جداً، لدرجة أن

(١) الإسلام الفاتح ٥٧.
(٢) الإسلام قوة الغد العالمية ٢٠٦.
(٣) الإسلام قوة الغد العالمية ٢٠٧.
(٤) الإسلام قوة الغد العالمية ٢٠٦.

التنقيب والاستخراج يعود على الدولة بفائدة اقتصادية كبرى[١].

وفي تركيا اكتشف في عام ١٩٣٧ عند DEMIR DOGH سلسلة الجبال الشمالية الشرقية خام الحديد. إذ أثبتت الأبحاث أنه أغنى مناطق الحديد في الكرة الأرضية، فهو يحتوي على ٦٨٪ حديد خالص. في حين أنه يوجد في العالم كله منطقتان فقط تحتوي المادة الخام المستخرجة منهما على ٦٥٪ فقط[٢].

وبالإضافة إلى وفرة المواد الخام في العالم الإسلامي، الذي أخذ يصنّع هذه المواد الخام مما له أثر كبير على رخص البضائع المصنّعة، هناك عامل آخر غاية في الأهمية له الأثر ذاته وهو رخص الأيدي العاملة في العالم الإسلامي[٣].

وإن هذه مناسبة طيبة أن أسجّل مادار في هذا المعنى بيننا نحن الحكام في إحدى مسابقات القرآن الكريم العالمية السابقة في كوالالمبور وبين بعض أولي الفكر في هذه البلاد حينما أبدينا إعجابنا بالنهضة الصناعية المباركة في ماليزيا فقيل لنا مامعناه. كنا نتجه إلى الغرب فلم نستفد شيئاً ذا بال، فاقترح علينا رئيس وزرائنا أن نزور اليابان وأن نسألهم عن سر تفوقهم. وزرنا اليابان وسألنا اليابانيين عن سر تفوقهم فكان الجواب: كنا نحن اليابانيين نتجه إلى الغرب كما تفعلون أنتم اليوم فضعنا على غرار ضياعكم اليوم، فعدنا إلى أصالتنا ففعلنا ماترون ووصلنا إلى ماوصلنا إليه. وقد أخذ إخواننا الماليزيون بهذه النصيحة. يقول محمد أسد[٤]: إن مايحتاج إليه العالم الإسلامي تجهيز علمي فني

---

(١) الإسلام قوة الغد العالمية ٢١٢.
(٢) الإسلام قوة الغد العالمية ٢١٠.
(٣) الإسلام قوة الغد العالمية ٢٠٨.
(٤) الإسلام على مفترق الطرق ٧٤.

عصري. ويقول في كتاب الطريق إلى مكة[1]: «إن كل تقليد ثقافي بخلاف الخلق والإبداع لابد أن يحقر الأمة ويقلل من شأنها».

وعن تركيا التي حملت لواء الإسلام خمسة قرون ونصف القرن[2] يقول العلامة أبوالحسن الندوي[3] عنها بعد ابتعادها- وللأسف- عن تعاليم الإسلام وإلقاء نفسها في حضن الغرب: «إنّها كان دورها دور الاستيراد ودور الاستعارة ودور التطبيق، لا أقل ولا أكثر، ولم ينبغ فيها في هذه الفترة نابغة في العلوم التطبيقية، ولا عملاق في العلوم والآداب، ولا مؤسس مدرسة جديدة من مدارس الفكر والفلسفة، ولا من يمد هذه الحضارة بشيء أصيل له قيمته العلمية. ولذلك بقيت شعباً متوسّطاً يعيش على هامش الشعوب الأوروبية. ولم يكن هذا قيمة ماضحى به هذا الشعب من السطوة السياسية، والحماسة الدينية، والدوافع الخلقية، والزعامة في العالم الإسلامي». وإليك مايقوله أحد المفكرين الإنجليز محذراً من اليقظة الإسلامية ومن تعويض الشرق الإسلامي مافاته في مجال التصنيع[4]: «لا يساورني أدنى شك في أن الحضارة التي ترتبط أجزاؤها برباط متين، وتتماسك أطرافها تماسكاً قويّاً، وتحمل في طياتها عقيدة مثل الإسلام، لاينتظرها مستقبل باهر فحسب، بل ستكون أيضاً خطراً على أعدائه. من الممكن أن يعارض المرء هذا الرأي بأن الإسلام فقد سيطرته على بعض الأشياء المادية وخاصة مايتصل بالحرب فهو لم يلحق بالتقدم التكنولوجي الحديث. لا

---

(١) نقلاً عن: الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ٢٠٩ وأصبح اسم الكتاب فيما بعد الطريق إلى الإسلام، انظر: من نهر كابل إلى نهر اليرموك لأبي الحسن الندوي ١٥٤.

(٢) الخنجر المسموم الذي طعن به المسلمون أنور الجندي ١٧.

(٣) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ٤٧.

(٤) نقلاً عن: الإسلام قوة الغد العالمية ٣٢٣، وانظر: ٧.

أستطيع أن أدرك لماذا لم يعوض الشرق الإسلامي مافاته في هذا الميدان؟ فلا تحتاج علوم الهندسة الحديثة إلى طبيعة عقليّةٍ خاصة، بل يتطلب الإلمام بها والتفوق فيها إلى الخبرة وتوجيه الخبراء. ومن الأمور المؤكّدة أنه غالباً مايحدث أن تكون حضارة أخرى وذات منزلة عالية في التقدم التكنولوجي أقل درجة من حضارة لم يبلغ بعد تطورها في هذا المجال مابلغته الأولى. إذاً فهناك احتمال كبير أن يصبح شعب ظهر حتى الآن أن مواهبه في الناحية التكنولوجية ضعيفة، في المستقبل سيداً على شعبٍ آخر استولت التكنولوجيا على حواسه ومشاعره- فلم ينقذه أحد- وتحكمت في سلوكه النظريات التي تسلب الإنسان الإحساس بالطبيعة. لماذا لايتعلم العالم الإسلامي ماتعلمناه في مجال التكنولوجيا؟ وفي مقابل هذا سيكون من الصّعب علينا استعادة التعاليم الروحية- وهو من العوامل الأساسية لوحدة أوروبية- التي فقدتها المسيحية، بينما لم يزل الإسلام يحافظ عليها».

ويقول باول شمتز مؤلف كتاب: الإسلام قوة الغد العالمية[1]: «وسيعيد التاريخ نفسه مبتدئاً من الشرق عوداً على بدء، من المنطقة التي قامت فيها القوة العالمية الإسلامية في الصدر الأول للإسلام، وستظهر هذه القوة التي تكمن في تماسك الإسلام ووحدته العسكرية، وستثبت هذه القوة وجودها إذا ما أدرك المسلمون كيفية استخراجها والاستفادة منها، وستقلب موازين القوى لأنها قائمة على أسس لا تتوافر في غيرها من تيارات القوى العالمية»

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين

---

(١) الإسلام قوة الغد العالمية ٣٢٢.

الخاتمة



في الصفحات السابقة جمعنا تحت عنوان : تسخير العلم والعمل لمجد الإسلام، بين بحثين تم إلقاؤهما في الندوة العالمية عن القرآن الكريم والمنعقدة في أثناء المسابقة الدولية لتلاوة القرآن الكريم بكوالالمبور عاصمة ماليزيا عامي ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م و١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م. وقد ظهرت الدراسة بصورتها الأخيرة في ثلاثة أقسام :

القسم الأول : ويتحدث عن مقوّمات النجاح والفلاح في نظر القرآن الكريم الذي تبيّنه سنة المصطفى ﷺ. وهذه المقومات مستفادة من الآيات الخمس الأُوَل من سورة البقرة المدنية.

القسم الثاني : ويتحدث عن المجد الإسلامي فيلقي نظرةً على أحوال البلاد والعباد قبل الإسلام ويشير إلى مقوّمات المجد الإسلامي وهي الجهاد في سبيل الله تعالى والأسوة الحسنة في الأخلاق والدعوة إلى الله تعالى والعلم.

القسم الثالث : ويتحدث عن العمل على إعادة المجد الإسلامي ويشير إلى ميادين هذا العمل وهي العقيدة الواحدة، والأمة الواحدة، والكتابة الواحدة، واللغة العلمية الواحدة، والمكان الواحد، والزيادة المطّردة في عدد السكان، والتكامل في المواد الأولية.

والله سبحانه وتعالى أسأل أن ينفع بهذا العمل، ويتقبله، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وألاّ يحرمنا من الأجر، وأن يعفو عمّا بدر منا من تقصير إنه جواد كريم.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

فهرست
المصادر والمراجع



١ - القرآن الكريم .

٢- ابن تيميــة : (أحمد بن عبدالحليم) الأمــر بـالمعــروف والنهي عن المنكـر، تحقيق د. صـلاح الـديـن المنجـد، دار الكتـاب الجديـد. بيروت. لبنـان ١٩٧٦م- ١٣٩٦هـ. الـرسـالة التـدمـريـة القاهـرة ١٣٨٧هـ نشرها: قصي محب الدين الخطيب .

٣- ابن جبير (أبـوالحسين محمـد بـن أحمد) رحلـة ابن جبير. دار صـادر بيروت ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٤- ابن حنبـل: (الامـــام أحمد بن حنبل) المسنـــد: شرحـــه ووضع فهـارسه أحمد محمـد شـاكر، الطبعـة الـرابعـة مصورة عن طبعـة دار المعارف بمصر ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م.

٥- ابن القيم: (شمـس الـــدين محمـــد بـن أبي بكـــر) التفسير القيّم. جمعه محمـد أويس الندوي. حققـه محمد حـامد الفقي. دار الكتب العلمية. بيروت لبنـان ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى. مكـة المكرمة. مؤسسة مكـة للطباعة والنشر. من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٣٩٦هـ رقم (٢).

٦- ابن كثير (عماد الـــدين أبـوالفـــدا إسماعيل بن كثير) تفسير القـــرآن العظيـم. دار إحيـــاء التراث العــــربي بيروت ١٣٨٨هـــ ١٩٦٩م. الفصول في سيرة الـرسول ﷺ. تحقيق وتعليق محمد العيـد الخطراوي محي الدين متو. الطبعة الثالثة ١٤٠٢-١٤٠٣هـ سوريا .

٧- ابن هشام (أبومحمد عبدالملك) السيرة النبوية. تحقيق مصطفى السقا. إبراهيم الأبياري. عبدالحفيظ شلبي. تصوير بيروت ١٩٨٥م.
٨- أبوحيان: (محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيان) البحر المحيط. تصوير بيروت.
٩- أسد (محمد) الإسلام على مفترق الطرق. ترجمة د. عمر فروخ الطبعة السابعة ١٩٧١م.
١٠- الأصفهاني: (أبوالقاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني) المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد الكيلاني، دار المعرفة، بيروت لبنان. بدون تاريخ.
١١- باجودة (حسن محمد) تأملات في سورة الأحزاب. مكة المكرمة ١٤٠٣هـ دحض بعض افتراءات دائرة المعارف اليهودية. من مطبوعات رابطة العالم الإسلامي الطبعة الأولى ١٤١١هـ/ ١٩٩١م. تأملات في سورة الفرقان القاهرة ١٩٧٧م.
١٢- البخاري: (أبوعبدالله محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم) كتاب الصحيح. كتاب الشعب ١٣٧٨هـ.
١٣- البنّا (حسن) السلام في الإسلام. الطبعة الثانية جدة ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.
١٤- الجندي: (أنور) الخنجر المسموم الذي طعن به المسلمون. القاهرة ١٩٧٦م.
١٥- خان (ضياء الدين بن إيشان باباخان) الإسلام والمسلمون في

البلاد السوفييتية . طاشقند الاتحاد السوفييتي ١٤٠٠هـ .

١٦- الخضري : (محمد) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين . الطبعة الثانية . دار المعارف للطباعة بدون تاريخ .

١٧- خطّاب (محمود شيت) العسكرية العربية الإسلامية . الدوحة قطر ١٤٠٣هـ .

١٨- الريس : (د. محمد ضياء الدين) معارك حول القدس . مجمع البحوث الإسلامية . رجب ١٣٩٢هـ أغسطس ١٩٧٢م .

١٩- الزركلي : (خير الدين) الأعلام . الطبعة الخامسة . دار العلم للملايين . بيروت ١٩٨٠م .

٢٠- سابق : (السيد) فقه السنة ، الطبعة الأولى . بيروت ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م .

٢١- السباعي : (د. مصطفى) السيرة النبوية . دروس وعبر. دمشق وبيروت . توزيع المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية . الدوحة . قطر. ١٤٠٠هـ من روائع حضارتنا . دمشق وبيروت . الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م .

٢٢- سيبويه (أبوبشر عمرو بن عثمان بن قنبر) كتاب سيبويه . تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م .

٢٣- السيوطي : (جلال الدين عبدالرحمن) الإتقان في علوم القرآن . تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م . تفسير الجلالين .

٢٤- شمتز (باول) الإسلام قوة الغد العالمية. ترجمة الدكتور محمد شامة. القاهرة ١٩٧٤م.
٢٥- الشواربي : (د. إبراهيم أمين) القواعد الأساسية لدراسة الفارسية. الطبعة الثالثة. القاهرة ١٩٥٦م.
٢٦- الطبري : (أبوجعفر محمد بن جرير) جامع البيان في تفسير القرآن. الطبعة الأولى. بولاق ١٣٢٩هـ.
٢٧- عبدالباقي (محمد فؤاد) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.
٢٨- عطار : (أحمد عبدالغفور) الزحف على لغة القرآن. بيروت ١٣٨٥هـ-١٩٦٦م.
٢٩- العقاد : (عباس محمود) أثر العرب في الحضارة الأوروبية. الطبعة الثانية، دار المعارف بمصر ١٩٦٠م.
٣٠- الغامدي : (د. على محمد عودة) المجاهد المسلم كمشتكين ابن دانشمند بطل الانتصارات الأولى على الصليبيين . الطبعة الأولى ١٤١١هـ. الطائف. المملكة العربية السعودية.
٣١- فك : (يوهان) العربية. ترجمة د. عبدالحليم النجّار. القاهرة ١٣٧٠هـ-١٩٥١م.
٣٢- القرطبي : (أبوعبدالله محمد بن أحمد الأنصاري) الجامع لأحكام القرآن دار الشعب، القاهرة. بدون تاريخ .
٣٣- كامل : (د. عبدالعزيز) الإسلام والمستقبل اقرأ ٤٠١ دار المعارف بمصر ١٩٧٥م. خطوات نحو القدس. اقرأ ٣٩٤ دار

المعارف بمصر ١٩٧٥م.

٣٤- كشك : (محمد جلال) طريق المسلمين إلى الثورة الصناعية. الطبعة الثانية ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م القاهرة.

٣٥- مؤنس: (د. حسين) الإسلام الفاتح. العدد الرابع من سلسلة دعوة الحق التي تصدرها شهرياً رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة. السيرة النبوية الشريفة. الدوحة ١٤٠٠هـ ١٩٧٩م.

٣٦- محمود : (د. عبدالحليم) أوروبا والإسلام. القاهرة ١٩٧٣م.

٣٧- محمود : (مصطفى) القرآن محاولة لفهمٍ عصري. الطبعة الثانية. بيروت ١٩٧٠م.

٣٨- مسلم : (الإمام أبوالحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري) كتاب الصحيح بشرح النووي. القاهرة. بدون تاريخ.

٣٩- المنهل: (مجلة) العدد ٤٩٤ شعبان ١٤١٢هـ فبراير ١٩٩٢م.

٤٠- المودودي : (أبوالأعلى) الإسلام اليوم . القاهرة ١٩٧٥م. حركة تحديد النسل. بيروت ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م، شهادة الحق. دار الفكر . بدون تاريخ . مباديء الإسلام . القاهرة ١٩٧٧م. نظرية الإسلام وهديه في السياسة والقانون والدستور. بيروت ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م.

٤١- الندوي : (ابوالحسن) إلى الإسلام من جديد. الطبعة

الرابعة القاهرة ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م السيرة النبوية. الطبعة الأولى. جدة ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية. الطبعة الثالثة. القاهرة ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م العرب والإسلام. مكة المكرمة الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م. ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين. الطبعة الثالثة. القاهرة ١٩٥٩م ١٣٧٩هـ. من نهر كابل إلى نهر اليرموك. بيروت الطبعة الثانية ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م. النبي الخاتم ﷺ. القاهرة ١٩٧٥م.

٤٢- الندوي: (السيد سليمان) الرسالة المحمدية. الطبعة الثالثة. دمشق. ١٤٠١هـ ١٩٨٢م.

٤٣- النووي: (أبوزكريا محي الدين يحيى بن شرف) تهذيب الأسماء واللغات. تصوير بيروت. بدون تاريخ. رياض الصالحين. تصوير بيروت. بدون تاريخ.

٤٤- النيسابوري: (أبوالحسن على بن أحمد) الواحدي. أسباب النزول. تحقيق السيد أحمد صقر. الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م دار القبلة للثقافة الإسلامية. جدة. مؤسسة علوم القرآن. سوريا، دمشق. بيروت.

٤٥- ياقوت: (شهاب الدين أبوعبدالله ياقوت بن عبدالله بن عبدالله الحموي) معجم البلدان. بيروت ١٣٧٤هـ ١٩٥٥م.

فهرست الموضوعات





الموضـــــــــوع	رقم الصفحة

القسم الأول

القسم الثانـي

القسم الثالث

صدر من هذه السلسلة

١ - تأملات في سورة الفاتحة ———— **الدكتور حسن باجودة**
٢ - الجهاد في الاسلام مراتبه ومطالبه ———— **الأستاذ أحمد محمد جمال**
٣ - الرسول في كتابات المستشرقين ———— **الأستاذ نذير حمدان**
٤ - الاسلام الفاتح ———— **الدكتور حسين مؤنس**
٥ - وسائل مقاومة الغزو الفكري ———— **الدكتور حسان محمد مرزوق**
٦ - السيرة النبوية في القرآن ———— **الدكتور عبد الصبور مرزوق**
٧ - التخطيط للدعوة الاسلامية ———— **الدكتور محمد علي جريشة**
٨ - صناعة الكتابة وتطورها في العصور الاسلامية **الدكتور أحمد السيد دراج**
٩ - التوعية الشاملة في الحج ———— **الأستاذ عبد الله بوقس**
١٠- الفقه الاسلامي آفاقه وتطوره ———— **الدكتور عباس حسن محمد**
١١- لمحات نفسية في القرآن الكريم ———— **د. عبد الحميد محمد الهاشمي**
١٢- السنة في مواجهة الأباطيل ———— **الأستاذ محمد طاهر حكيم**
١٣- مولود على الفطرة ———— **الأستاذ حسين أحمد حسون**
١٤- دور المسجد في الاسلام ———— **الأستاذ محمد علي مختار**
١٥- تاريخ القرآن الكريم ———— **الدكتور محمد سالم محيسن**
١٦- البيئة الادارية في الجاهلية وصدر الاسلام - **الأستاذ محمد محمود فرغلي**
١٧- حقوق المرأة في الإسلام ———— **د. محمد الصادق عفيفي**
١٨- القرآن لكريم كتاب أحكمت آياته [١] ———— **الأستاذ أحمد محمد جمال**
١٩- القراءات أحكامها ومصادرها ———— **د.شعبان محمد اسماعيل**
٢٠- المعاملات في الشريعة الاسلامية ———— **الدكتور عبد الستار السعيد**
٢١- الزكاة فلسفتها وأحكامها ———— **الدكتور علي محمد العماري**
٢٢- حقيقة الانسان بين القرآن وتصور العلوم - **الدكتور أبو اليزيد العجمي**
٢٣- الأقليات المسلمة في آسيا وأستراليا ———— **الأستاذ سيد عبد المجيد بكر**
٢٤- الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر ———— **الدكتور عدنان محمد وزان**
٢٥- الإسلام والحركات الهدامة ———— **معالي عبد الحميد حمودة**
٢٦- تربية الناشئة في ظل الاسلام ———— **الدكتور محمد محمود عمارة**
٢٧- مفهوم ومنهج الاقتصاد الاسلامي ———— **د. محمد شوقي الفنجري**
٢٨- وحي الله ———— **د. حسن ضياء الدين عتر**
٢٩- حقوق الانسان وواجباته في القرآن ———— **[illegible] أحمد عبد الرحمن عابدين**
٣٠- المنهج الإسلامي في تعليم العلوم الطبيعية - **الأستاذ محمد عمر القصار**

٣١- القرآن كتاب أحكمت آياته [٢] — الأستاذ أحمد محمد جمال
٣٢- الدعوة في الاسلام عقيدة ومنهج — الدكتور السيد رزق الطويل
٣٣- الاعلام في المجتمع الاسلامي — الأستاذ حامد عبد الواحد
٣٤- الالتزام الديني منهج وسط — عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني
٣٥- التربية النفسية في المنهج الاسلامي — الدكتور حسن الشرقاوي
٣٦- الاسلام والعلاقات الدولية — د. محمد الصادق عفيفي
٣٧- العسكرية الاسلامية ونهضتنا الحضارية — اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ
٣٨- معاني الأخوة في الإسلام ومقاصدها — الدكتور محمود محمد بابللي
٣٩- النهج الحديث في مختصر علوم الحديث — الدكتور علي محمد نصر
٤٠- من التراث الاقتصادي للمسلمين — د. محمد رفعت العوضي
٤١- المفاهيم الاقتصادية في الاسلام — د. عبد العليم عبد الرحمن خضر
٤٢- الأقليات المسلمة في أفريقيا — الأستاذ سيد عبد المجيد بكر
٤٣- الأقليات المسلمة في أوروبا — الأستاذ سيد عبد المجيد بكر
٤٤- الأقليات المسلمة في الأمريكتين — الأستاذ سيد عبد المجيد بكر
٤٥- الطريق إلى النصر — الأستاذ محمد عبد الله فودة
٤٦- الاسلام دعوة حق — الدكتور السيد رزق الطويل
٤٧- الاسلام والنظر في آيات الله الكونية — د. محمد عبد الله الشرقاوي
٤٨- دحض مفتريات — د. البدراوي عبد الوهاب زهران
٤٩- المجاهدون في فطان — الأستاذ محمد ضياء شهاب
٥٠- معجزة خلق الانسان — د. نبيه عبد الرحمن عثمان
٥١- مفهوم القيادة في إطار العقيدة الاسلامية — د. سيد عبد الحميد مرسي
٥٢- ما يختلف فيه الإسلام عن الفكر الغربي والماركسي — الأستاذ أنور الجندي
٥٣- الشورى سلوك والتزام — الدكتور محمود محمد بابلي
٥٤- الصبر في ضوء الكتاب والسنة — أسماء عمر فدعق
٥٥- مدخل إلى تحصين الأمة — الدكتور أحمد محمد الخراط
٥٦- القرآن كتاب أحكمت آياته [٣] — الأستاذ أحمد محمد جمال
٥٧- كيف تكون خطيبا — الشيخ عبد الرحمن خلف
٥٨- الزواج بغير المسلمين — الشيخ حسن خالد
٥٩- نظرات في قصص القرآن — محمد قطب عبد العال
٦٠- اللسان العربي والاسلامي معا في مواجهة التحديات — الدكتور السيد رزق الطويل

٦١- بين علم آدم والعلم الحديث — الأستاذ محمد شهاب الدين الندوي
٦٢- المجتمع الاسلامي وحقوق الانسان — د. محمد الصادق عفيفي
٦٣- من التراث الاقتصادي للمسلمين [٢] — الدكتور رفعت العوضي
٦٤- تصحيح مفاهيم حول التوكل والجهاد — الأستاذ عبد الرحمن حسن حبنكة
٦٥- لماذا وكيف أسلمت [١] — الشهيد أحمد سامي عبد الله
٦٦- أصلح الأديان عقيدة وشريعة — الأستاذ عبد الغفور عطار
٦٧- العدل والتسامح الاسلامي — الأستاذ أحمد المخزنجي
٦٨- القرآن كتاب أحكمت آياته [٤] — الأستاذ أحمد محمد جمال
٦٩- الحريات والحقوق الاسلامية — محمد رجاء حنفي عبد المتجلي
٧٠- الانسان الروح والعقل والنفس — د. نبيه عبد الرحمن عثمان
٧١- كتاب موقف الجمهوريين من السنة النبوية — الدكتور شوقي بشير
٧٢- الاسلام وغزو الفضاء — الشيخ محمد سويد
٧٣- تأملات قرآنية — الدكتورة عصمة الدين كركر
٧٤- الماسونية سرطان الأمم — الأستاذ أبو إسلام أحمد عبد الله
٧٥- المرأة بين الجاهلية والاسلام — الأستاذ سعد صادق محمد
٧٦- استخلاف آدم عليه السلام — الدكتور علي محمد نصر
٧٧- نظرات في قصص القرآن [٢] — محمد الطيب عبد العال
٧٨- لماذا وكيف أسلمت [٢] — الشهيد أحمد سامي عبد الله
٧٩- كيف نُدَرِّس القرآن لأبنائنا — الأستاذ سراج محمد وزان
٨٠- الدعوة والدعاة .. مسؤولية وتاريخ — الشيخ أبو الحسن الندوي
٨١- كيف بدأ الخلق — الأستاذ عيسى العبراوي
٨٢- خطوات على طريق الدعوة [الجزء الأول] — الأستاذ أحمد محمد جمال
٨٣- المرأة المسلمة بين نظرتين — الأستاذ صالح محمد جمال
٨٤- المبادىء الاجتماعية في الاسلام — محمد رجاء حنفي عبد المتجلي
٨٥- التآمر الصهيوني الصليبي على الإسلام — إبراهيم حمدان علي
٨٦- الحقوق [illegible] — [illegible] محمد سعيد
٨٧- من [illegible] الانسان — محمد حسن العماري
٨٨- نور من [illegible] طريق [illegible] — [illegible] الحسين أبو سم
٨٩- أسلوب [illegible] الإسلام — [illegible] عايض الزهراني
٩٠- القضاء في الإسلام — سليمان محمد العيضي